دار روح منشورة
للنشر الإلكتروني

قصص

المأساة

خالد حميدة

نوع العمل: مجموعة قصصية

اسم العمل: المأساة

اسم المؤلف: خالد حميدة

الناشر: حروف منثورة للنشر الإليكترونى

الطبعة: الأولى أغسطس 2016

تصميم الغلاف: مروان محمد

تدقيق لغوى: محمود سائد الحموي

تفضلوا بزيارة موقعنا حروف منثورة للنشر الإليكترونى من خلال الضغط على الرابط التالى:

http://herufmansoura2011.wix.com/ebook

كما يمكنكم متابعتنا من خلال صفحتنا الرسمية على الفيس بوك من خلال الضغط على الرابط التالى:

http://facebook.com/herufmansoura

كما يمكنكم مراسلاتنا بأعمالكم و مقترحاتكم على الإيميل التالى:

Herufmansoura2011@gmail.com

دار حروف منثورة هي دار نشر إلكترونية لخدمات النشر الالكتروني ولا تتحمل أي مسئولية تجاه المحتوى الذي يتحمل مسئوليته الكاتب وحده فقط وله حق استغلاله كيفما يشاء

مجموعة قصصية

المأساة

خالد حميدة

الإهداء

كل الأشياء منه، وهذا محاولةٌ منّي لأوفيه بعض فضلهِ، ولا قدرة لحروفي على ذلك مهما عظُمتْ.

أهدي عملي هذا إلى اللطيف عز وجل لا لفقره

ـ سبحانه هو الغني ـبل احتياجاً وشوقاً إليه

خالد حميدة

الفهرس

غربتي 8

هدية القدر 11

فكرة 14

غُربَةُ عُمُرٍ 17

يَوميّةُ حُبٍّ 20

ومِنَ الحُبِّ ما قَتَلْ! 23

صداقةُ الألمِ والأملِ 26

قِصَّةُ ألمٍ 36

حالة حب ج1 39

حالة حب ج 2 43

غروبُ الحبِّ 47

غُربَتي ج 2 55

حبٌّ ربيعيٌّ 58

العودة 65

حكاية حب 68
المأساة 71
قِصَصُ الآباءِ 123
الوطن للوطن..... 126
رِسالةٌ إلى الوطنِ 131
سنهزمُكم..... 134

غربتي

حين يُهملكَ الزمنُ وتذروكَ الأيامُ تغدو ضعيفاً تبحثُ عن قشّةٍ تُنْجيكَ من بحرِ الألمِ الذي ألمّ بكَ دون شعورٍ منكَ، ترنو إلى القمرِ لتجِدَه عليلاً مستلقياً على سطحِ الجبلِ، تُسلِم أمركَ للريحِ فتحمِلُك إلى عوالمَ بعيدةٍ عنك كلّ البُعد.

هكذا يكونُ حالُك عندما تكون ذليلاً تبدو تائهَ الخُطا، ميّتاً في الحياة يتملّكُكَ الأسى، ويعيشُ الذلُّ في داخلِك تنظرُ بعينيكَ إلى المكانِ لتجِدهُ خاوياً من كُلّ شيءٍ عدا وحولِ الذُلِ والقهرِ، تمدُّ يديكَ فيها أملاً منكَ في أنْ تلتقطَ إنسانيتَك المسلوبةَ، لكن عبثاً تلجأُ إلى الموت فيرفض الأذِلاءَ، تُسيطر عليكَ الحِيرةُ، تأتيكَ أمطارُ اليأسِ لتزيدَ من الوحولِ.

في هذه الأثناءِ تزورُكَ الرياحُ المهاجرةُ عَبْرَ الأثيرِ الموحشِ فتجلِبُ لكَ الفراغَ، ولا شيءَ سوى الفراغُ، تنتظرُ في مكانكَ وتعلمُ أنّ الانتظارَ أبطَأ قاتلٍ، يسودُ الصمتُ في المكانِ تنصت إلى عواطفكَ فيُعذِّبُكَ أنينُها.

هكذا أكونُ في غربتي أعيشُ بلا حُلُمٍ، أحيا بدون أماني، ورُغمَ هذا أعيشُ على بقايا أملٍ بالعودةِ إلى وطني، وبِضعةُ أشواقٍ تطيرُ بي في الليلِ إلى حُضْنِ أُمي.

اقتُلْني يا انتظارُ، بعثِرني يا ألمُ، اسحقْني يا ذُلُّ، شتّتني يا فراغُ، ولكنّي واثقٌ أنّي يوماً ما سأعودُ إلى وطني، انتظريني يا أماه فأنا آتٍ لأغفوَ في ريعانِ حنانكِ، وأمحوَ شوقي إلى لقائكِ، تمهّلي عليّ يا أمي فأنا قادمٌ.

رجوع للفهرس

هدية القدر

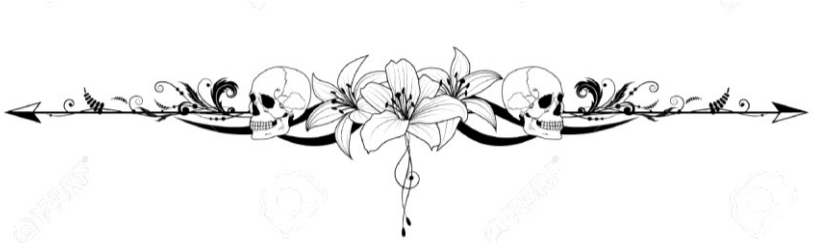

دائماً تُذكّرُني بنفسِها فهي تخشى أنّ أنساها وأتّبِعَ غيرَها من الفتياتِ.

يالَجنونِ النّساءِ! كيف أنساها!؟ وهي تقبَعُ في سُويداءِ القلبِ، وتجري مَجرَى الدمِ في العروقِ، إنّها أقربُ إلى رُوحي منّي، فكيف أنسى روحي!؟ وهي التي إنْ نسيتُها فقدتُ نفسي، فهل أنساكِ يا مُسافرةً مِثل اليمامةِ بين العينِ والنظرِ؟ كنتِ أنتِ منذُ البدايةِ هديةَ القدرِ، فهل أرفضُ وأنسى هديةً أرادها ليَ القدرُ.

تذكَري جيداً الأيامَ الخواليَ التي جمعَتْنا في ساحاتِها، وكم منحَتْنا من الحُبِ الذي مارسْناهُ كيفما يحلو لنا، وقبلَ ذلكَ المخاضِ الذي خُضْناه معاً قبل وِلادةِ حبّنا العظيمِ، عدا عن أحلامِنا التي قطفناها من براعمِ الحياةِ، لنودِعَها في عالمٍ لا يعرِفهُ إلا الله ونحنُ.

في إحدى الأيام التي احتوتْ موعِداً بيننا كان ظهورُكِ مفاجئاً لي، كُنتِ مهتمةً بنفسِكِ أشدَّ الاهتمامِ بشَعركِ السحريّ، وعيناكِ اللائي راحتْ تُحدّثُ عن أعمقِ الأسرارِ، ولباسُكِ وعطرُكِ اللذانِ اتّحدا ليُخرِجاكِ بأبهى حُلَّةٍ، وكأنّكِ فراشةٌ لفَظَكِ الربيعُ بعدما غَمرَكِ بأريجِ شذاهُ، حينها سألتُكِ: لِمَ كُلُ هذا؟ فقُلتِ وفي قولِكِ الكثيرُ من الاستفسار: لأرى إنْ كنتُ ما زلتُ جميلةً في نظرِكَ، فقلتُ لكِ: يجب أن تعرفي أنّي أحببْتُ قلبكِ وروحَكِ وما جسدُكِ إلّا مرآةً لهما.

اعلمي، يا حبيبتي أنَي اخترتُكِ منذُ البدايةِ لنستمتِعَ معاً بأسمى آياتِ الحُبّ والسعادةِ، لا لأنساكِ أو لتعيشي في أوهامٍ وأسربةٍ يتوهُ القلبُ في رحابهما.

اطمئنّي يا ملاكي، فأنا لم أفكّرْ قطُّ في نسيانِكِ أو حتى تجاهُلكِ، كُلُ هذا لأنّي عرفتُ منِ اختارَ القدرُ لي وسُرِرتُ بذلك الخِيار.

وعندما أنهيتُ كلامي لاحظْتُ عيناكِ تفيضانِ بالدموعِ فاحتضنتُكِ بعواطفي التي أثارتها دموعُكِ، وانتهى ذلك اليومُ بعِناقِنا أوَ ليست الأيام تُعدُّ بالإنجازات؟؟؟

وعِناقي لكِ في تلك اللحظةِ كان إنجازاً حملتْهُ آلهةُ الحُبِ إلى أقدسِ الأقداسِ.

رجوع للفهرس

فكرة

في كُلِ مرةٍ أُمسِكُ فيها اليراعَ تتسابقُ إليّ الأفكارُ، وكلٌ منها تُبرزُ لي مفاتِنها وحُسْنَها وبهاءَها، كأنّهُنَّ ملِكاتُ جمالٍ جِئنَّ إليّ لأنتقيَ مِنهنّ واحدةٍ أخُطُّها على ورقتي وأتّخِذُها خليلةً لي، لتكونَ شُهرتي عن طريقها.

كنتُ في كلّ مرةٍ أنصّبُ نفسي حَكَماً لأُجرّبَ بهاءَ هذه الفكرةِ، وأنتقِدُ دلال شقيقتَها، وأخرُج مُنْهكاً وقد خارتْ قوايَ، كأنّي كنتُ في مغامرةٍ في إحدى الأدغالِ، ليسَ من السّهلِ أنْ تُمسِكَ قلْباً بين يديكَ، وتبدأَ الكتابة بدمهِ ذلك أنَّ القلمَ قلبٌ.

في إحدى المرّاتِ جاءتْني فِكرةٌ كَسرتُ الحروفَ لأجلِها وافتعلتُ الحروبَ حولها، هي فكرةٌ تنفي وجودَ الخطأ في كلّ قِصص الحياة وتصلُحُ أنّ تكون منهاجاً بأكملهِ.

لو أنّي عاصرتُ أرِسطو لأقنعْتُهُ بها.

لو أنّي واكبتُ أفلاطونَ لتحاورْنا فيها كثيراً.

تقولُ الأسطورةُ القديمةُ أنّ الأفكارَ خُلِقَتْ في أقاصي الغربِ، وكان هناك ملاكٌ يحرُسها كي لا تفِرَّ الشريرةُ منها، إلّا أّن إحداهُنّ احتالَتْ عليه وهربتْ منهُ، فطارَ خلفها يُريدُ إعادتها إلى مكانِها، وفي أثناءِ غيابِه فرّت باقي الأفكارِ من مكانِها، وراحتْ تسبحُ في الفضاءِ، وهو يطيرُ من خلفِ واحدةً إلى خلفِ أُخرى، علّه

يستطيعُ الإمساكَ بإحداهُنَّ، وكلّما شَعَرَ بعجزِهِ حزِنَ وانهمرتْ دموعهُ أمطاراً على الأرضِ.

وتقولُ أسطورةٌ أُخرى أن الفِكرَ تزوّج من جنيّةٍ، وأنجبا أفكاراً لم تفتأ أنْ تعصيَ والِدها، وتُرضيَ نزواتِ أُمّها، وهذه هي حالُ الأفكارِ تتنافسُ في كلّ لحظةٍ لتعلوَ على قريناتِها، كما هو حالُ حبّاتِ الودقِ التي تتسابقُ للوصولِ إلى الأرضِ، وتتصارعُ للوصولِ إلى البحرِ، وتعودُ لتتقاتلَ مع بعضِها مجدّداً لتصعدَ أقواهُنّ إلى السماءِ أولاً، وهكذا إلى ما لا نهاية.

الحياةُ بأسرِها حِكايةُ فِكرةٍ بدأتْ في زمانٍ ومكانٍ ما، ثُمّ راحتْ تُزهرُ أفكاراً فكانتْ أزهارُ الخيرِ جميلةٌ وعبيرُها يُنعشُ الصدورَ والأرواحَ، وأزهارُ الشرّ كانتْ شائكةٌ، رُؤيتُها تُثيرُ الذّعرَ، ولا تَمُتُّ للزهورِ بصلةٍ سوى الاسم.

لكنْ وبالرغمِ ممّا سبقَ ستظلُّ الأفكارُ تتناسلُ في رؤوسِنا، لتُخرِجَ مِنّا شخصاً يكتُبُ كلماتٍ حُلوةً، ومعانياً عذبةً فنسمّيهِ كاتِباً، وتُخرِجُ آخر يُوظّف قُدُراتِه في البحوثِ العلميةِ فنسمّيهِ عالماً، وآخر يختزلُ الحياةَ في جُملٍ بسيطةٍ محبّبةٍ فنسمّيهِ حكيماً، إلى أنْ تتوقّفَ الأفكارُ عنِ التناسُلِ وتكُفَّ الحياةُ عن السيرِ.

رجوع للفهرس

غُربَةُ عُمُرٍ

بعدَ كلِّ الذي حصلَ معي مِن هزائِمٍ وانتصاراتٍ، وبعدَ كلِّ الذي تعلَّمْتُهُ من هذهِ الدّنيا من تجاربَ ومواقفَ، وبعدَ كلِّ ما مرَّ بي من كلِّ شيءٍ يُمكِنُ أنْ يحصُلَ في عُمْرٍ ما، الآنَ عرفتُ ما الذي ينقُصُني ويتمّمُ ذاتي.

في البدايةِ لم أُعِرْ الأمرَ أيَّ أهمّيةً، لكنّهُ بدأ يزيدُ إلحاحاً وإصراراً كلّما طال عليه الزّمنُ إلى أنْ أدركْتُ وتيقّنتُ أنّي بحاجةٍ إلى امرأةٍ تروّضُ جنوني، وتخلّصُني من براثِنِ الكلماتِ التي راحتْ تمتلِكُني رويداً رويداً.

امرأةٌ استردُّ بها حُرّيتي بعدما أسرَني ذاتَ يومٍ الرسمُ بالكلماتِ ذلك اليومُ الذي أخذَتْ فيه همومي بالتّكاثُرِ إلى الآن.

يا امرأةً أخشى أنّ أُسمّيها حبيبتي! كيف أُناديكِ؟ وبمَ؟ أنتِ التي تطلّين عليَّ في شيءٍ يُشبِهُ الحُلْمَ وليس بحُلْمٍ، يا مُعذّبتي ويا مُخلّصتي في آنٍ واحدٍ، بكِ أبدأُ وبكِ أنتهي، لكنْ أينَ أراكِ وأنتِ تختبئِين في طيّاتِ الأيّام، تُراكِ اخترتِ بدايةَ الأسبوعِ أمّ آخرهُ لتظهري لي أمْ أنّكِ اخترتِ يوم الجُمعةِ يوم اجتَمع آدمُ بحواءَ لنجتمِعَ نحنُ الاثنينِ في ساعاتِ يومٍ أجهلُهُ، يا امرأةً أدخَلَتني بمغامرةٍ مع القدرِ، تُراكِ حقيقةٌ أمْ أنّكِ أضغاثُ أحلامٍ ورؤوسُ أقلامٍ لفواجعَ وكوارثَ كُبّرى ستحُلُّ بي لاحقاً.

في هذه اللحظاتِ يمرُّني سؤالٌ، هل أنا ذلكَ الرجلُ الذي لم يكترثْ لحواءَ أبداً! فأبتْ إلّا وأنْ تُدمِّرَه وتُنشِئَهُ كيفما أرادَتْ مرّةً جديدةً، ها أنا ذا محاطٌمن النيرانِ بكافّةِ الجوانبِ، نارُ الوحدةِ ونارٌ اخترتُها لنفسي وسُعِدتُ بها وجحيمٌ أعتقدُ أنّ فيه خَلاصي وفوقَ كلِّ هذا وذاكَ أضعْتُ تلك الفتاةَ الصغيرةَ اللعوبَ التي نسمّيها النفسُ، لكن لا بأس، ليستمرَّ أَسري إلى مالا نهايةً ولِتدومَ غُربتي في وِحدةٍ أنا اخترْتُها، وتلك المرأةُ التي قد تأتي وقد لا تأتي فلتُدمّر ذاكرتي، ونفسيَ التي تاهتْ في غفلةٍ منّي ولا أعلمُ أين؟ فلتغْزُني الجِراحُ والكوارثُ والفواجعُ، فلا بُدَّ لها أنْ تنتهيّ، فدوامُ الحالِ من المُحالِ، ولَطالما كانتْ أيّامُ الأسى أكثرُ من أيّامِ السرورِ في هذا العُمْرِ الذي لم يبدأْ ولمْ ولنْ ينتهيَ.

رجوع للفهرس

يَوميّةُ حُبٍّ

كان يسيرُ وحيداً هائِماً لا يعرِفُ أين يقْذِفُهُ القدرُ، إلى أيِّ قلبٍ وإلى أيِّ فؤادٍ تنْقُلُهُ الأهواءُ بين دربٍ وطريقٍ، إلى أنْ وَقَعَ في قلبِ فتاةٍ أغرَتها الطفولةُ، فأبتِ الابتعادَ عنها، تحكّمتْ بها سجيتُها فسلّمتْ أمْرَها إلى نفسِها التي تلعبُ كرَوحٍ صغيرةٍ في الأفُقِ.

لم تدرِ ما حدثَ لها، أحسَّت بنشوةٍ وغِبْطةٍ حين أسرَها حُبُّ الشابِّ الذي يعملُ في دُكّانٍ مجاورةٍ لمنزلِها، مرّتِ الأيامُ والسِّنُون، وعِشْقُهُ يكبُرُ في قلبِها، أخذتِ الطفولةُ التي احتوتْها بالتّلاشي دون أنْ تَشْعُرَ، والشحوبُ سرى في وجهِها، والحُبُّ الهائِمُ لا يدري أيَّ مكانٍ سقطَ فيه.

في إحدى الأيامِ أرادتْ أنْ تُفصِحَ للشابِّ عن حُبِّها، لكن شَعَرتْ أنَّ أيدٍ خفيةً تُمسِكُ بها وتمْنعُها من الحَراكِ، لم تدرِ ماذا تفعلُ؟ حُبٌّ يعصِفُ بقلبِها وأشياء تمنعُها من إحياءِ حبِّها الدفينِ، قتلَتْها الحيرةُ، وهي التي لم تُخْتَبرْ كثيراً من قِبلِ الدنيا ومِحَنِها، لم تستطعْ الصبرَ إزاءَ الظروفِ التي مرَّتْ بها، حاولتْ أن تجدَ حلّاً يُخلّصها ممّا هي فيه من شحوبٍ وتلاشٍ وحبٍّ هائمٍ.

محّصتْ في كلِّ الاحتمالاتِ علّها تجِدُ ضالّتها لكن عبثاً، تململَتْ من معاناتِها، سلّمت نفْسَها للأيامِ وغاصتْ في غياهبِ الغيابِ، إلى أنْ أخرجَها رحيلُ الشابِّ بعيداً عن المنطقةِ، رحلَ الشابُّ ورحل

الشحوبُ، وانطلقَ الحُبُّ بعدما قضى فترةٍ من الأسرِ دونَ أنْ يعيشَ ودونَ أنْ يموتَ.

رحلَ الشابُّ ورحلَتِ المُعاناةُ التي خلقَتَ لديها قِصةُ حُبٍّ بريءٍ عاشَ كأنَّه قطرةُ ماءٍ في أحضانِ الصحراءِ.

حبٌّ تاهَ في قلبِها الصغيرِ الذي كَبُرَ مع هذه المعاناةِ.....

رجوع للفهرس

ومِنَ الحُبِّ ما قَتَلْ!

بما أنَّهُ كانَ يُؤمنُ بأنَّ لا حياةَ مع اليأسِ ولا يأسَ مع الحياةِ، لذا كانَ يتطلَّعُ في كلِّ صباحٍ إلى إنجازٍ أقربَ إلى الإعجازِ إنْ جازَ التعبيرُ، ومِنْ هُنا كانَ لا بدَّ لهُ أنْ يَستنبِطَ الأفكارَ والمشاريعَ لكلِّ يومٍ جديدٍ، وفي إحدى الليالي التي كانَ فيها في ذُروَةِ التمحيصِ عنْ فِكرةٍ ما، أتاهُ خاطرٌ جعلَهُ يُفكِّرُ مليّاً في مَنحاهُ الذي اتّخذَهُ في حياتِهِ التي يتمنَّاها أيُّ إنسانٍ يَأمَلُ بحياةٍ مثاليّةٍ .

لَقد أتَاهُ رسولُ الحبِّ، وهو الذي يَعُدُّهُ صَفقةً فاشلةً لعدَّةِ أسبابٍ تَبنَّاها طُوالَ أربعينَ سنةً مضَتْ، لم يَكُنْ فيها سِوى الجدُّ والعملُ الذي يَأبى أنْ يفارِقَهُ، لولا أنْ سرقَهُ هذا الحبُّ الذي أتَاهُ في شيءٍ يُشْبِهُ الحلمَ، وهُنا كانَتْ نُقطةُ التحوُّلِ في حياتِهِ العاطفيةِ التي لَطالَما كانَ لا يُولِيها أدنى أهميةً بالرغمِ منَ المساحةِ التي تحتلُّها في حياةِ كلِّ منَّا، فأرادَ أنْ يحوّلَ هذا الحلْمَ إلى حقيقةٍ أزليَّةٍ خالدةٍ كالموتِ، فتحوَّلَ هذا الهاجسُ إلى مصدرِ إزعاجٍ لأقرانِهِ في العملِ، وهُنا لجأَ إلى مَنْ لا يَرفضُ أيَّ شيءٍ منهُ سيئاً كانَ أم جيداً لجأَ إلى الطبيعةِ بغاباتِها وبُحورِها ليروّحَ عنْ نفسِهِ قليلاً، ويُركِّزُ أكثرَ للحصولِ على أيِّ أثرٍ للفتاةِ التي زارَتْهُ في حُلُمِ تلكَ الليلةِ، لقد كانَ حُلُماً لا لمْ يَكُنْ حُلُماً، لقد كانَتْ حقيقةً لكنَّها غُيِّبَتْ فأضحَتْ حُلُماً، نعمْ إنَّها حقيقةٌ، فقد أَحبَّ في صباهُ فتاةً في عمرِ الزهورِ اليانعَةِ

لكنَّهُ هَجَرَ الحبَّ منذُ أنْ أعطَتْ تلكَ الفتاةَ قلبَها لشخصٍ آخرَ بعْدما علِمتْ بفقرِهِ، فحاوَلَ الانتقامَ لكن سِحْرَهُ انقلبَ عليهِ لذلكَ أجبرَ نفسَهُ على الحياةِ بعد أنْ فقدتْ رغبةَ العيشِ بعيدةً عن التي أحبَّتْ

.

شاهدَ نفسَهُ في الحلمِ وكأنَّهُ في أبْهى حُلَّةٍ إلى جانِبِ حبيبتِهِ القديمةِ، وقدْ بدا على وجهِهِ السرورُ بينما كانَ وجهُها لا يبشِرُّ بأيِّ خيرٍ يسيران في دروبٍ طويلةٍ، إلى أنْ وصَلا إلى النهايةِ حيثُ سلَّمَتْ نفسَها للريحِ، وتركَتْهُ فَتَبِعَها إلى حيثُ ترقُدُ النجومُ، وهناكَ أنشأا قصةَ حبٍّ أبديّةٍ، وفي ذُروةِ السعادةِ التي عاشَها معها تركَتْهُ وعادَتْ إلى حيثُ كانَا، فَتَبِعَها ولم يجدْها في الحلمِ، فاستيقظَ وأرادَ أنْ يجدَها في الحقيقةِ بحثَ في كلِّ مكانٍ عنها، سألَ زهورَ الدربِ و مَقعدَ الحديقةِ عنها ولم يحصلْ على ردٍّ شافٍ، عندَها نالَ منْهُ اليأسُ والقنوطُ، فسلّمَ الأمرَ إلى نفسِهِ التي لم تَكنْ أساساً راضيةً عن رحيلِها منذُ البدايةِ، فما كانَ منْها إلا أنْ تأخُذَهُ إلى ما كانَتْ ترومُهُ أوَّلَ ما فُجِعَ برحيلِ حبيبَتِهِ، لقد أفضَتْ بِهِ إلى الموتِ جامعَ الأجسادِ وسارقَ الأرواحِ، لقد فضَّلَتْ افتراقَها عن الجسدِ بدلاً منْ عذابٍ دامَ عشرين عاماً، وكانَ يُمكِنُ أنْ يدومَ أكثرَ لو لمْ تفعلْ ما فعلَتْ ..... رجوع للفهرس

صداقةُ الألمِ والأملِ

تُعَدُّ فَرنسا أجملَ دُولِ أَورُوبا، حيثُ نهرِ السينِ الذي يَمُرُّ من باريسَ، فيُنعشُها إنعاشاً تاماً، ومنْ ثُم مدينةُ ليونَ التي تقعُ عندَ دلتا نهرِ السينِ ورافدَهُ نهرُ الروزِ اللذانِ يُشكِّلانِ معاً نهرَ الرونِ الذي يّصُبُّ في البحرِ المتوسطِ، وفي هذهِ الجنَّةِ الساحرةِ والطبيعةِ الخلابَةِ التي شكَّلتها نهرُ السينِ على طُولِ مجراهُ، والسلامُ الذي سادَ المنطقةَ، كانَتْ هذه الأسبابُ كافيةً لتكوينِ صداقةً جميلةً شكَّلَتْها قسوةُ الحياةِ، كانَتْ الصداقةُ بينَ عدَّةِ أطفالٍ، الأوَّلُ جونْ ويبلُغُ منَ العُمْرِ اثنا عشرَ عاماً، تُوفّي أبواهُ في حادثِ سيرٍ فظيعٍ أثناءَ سفَرِهِم بالقطارِ السريعِ الذي اصطَدَمَ معَ قِطَارٍ آخرَ لِنقْلِ البضائعِ ممَّا أدَّى إلى مَقتَلِ جَميعِ الرُّكابِ، ومِنْ بَينِهِمْ والِدَي جُونْ، والثَّاني جَاكْ أكْبرُهُم سنَّاً وأكثرُهُمْ دِرايةً بالحياةِ وعَثراتِها، طَرَدَهُ زَوجُ أمِّهِ مِنَ المَنزِلِ، وأبعَدَهُ عنْ كنفِها، ممَّا جعلَهُ بائِساً مُحبَطاً ذاقَ جميعَ أنواعِ العذابِ والإهانةِ، حتَّى لقيَ الأصدقاءَ، والثَّالِثُ هيَ فتاةٌ تُدعى فلورنسْ، والتي وقعَتْ ضحيةَ نِزاعاتِ أبَويها، وآخِرُ اثنينِ لِيونارْدو وأوليفييه الصغيرُ وهما أخوين عانَا من ظُلمِ الكبارِ نتيجةَ رحيلِ والدَتِهما ووفاةِ أبيهِما.

وبالرَّغمِ مِنْ كُلِّ هذهِ الظروفِ المَأساويةِ التي مرُّوا بها، إلّا أنَّ البسْمَةَ تعْلُو وجوهَهم دائِماً وأبداً، اجتمعَ الأصدقاءُ في مدينةِ

ليون والتقَوا على دربِ الألمِ والأملِ حيث عاشُوا قي قريةٍ صغيرةٍ يجتاحُها الجفافُ كُلَّ حينٍ، فتموتُ المزروعاتُ وتفنى الحيواناتُ، كُلُّ هذا يَجعلُ أهلَ القريةِ فقراءَ يائسينَ منْ ظُلمِ الطبيعةِ لَهُمْ.

في هذهِ القريةِ عاشَ أصدقاؤنا حياةً شِبهَ سعيدةٍ، لأنَّهم وجدُوا من يأَويهمْ ويحميهِمْ منْ مارِدِ الجوعِ والخوفِ، إنَّها امرأةٌ عجوزٌ رحلَ عنْها أبناؤُها وتركُوها معَ عِدَّةِ حيواناتٍ ومَزرعةٍ صغيرةٍ تقضي بهم حاجاتِها.

سُرَّتْ هذهِ المرأةُ بالأصدقاءِ واعتبرَتْهم أحفادُها، وقَسَّمَتْ الأعمالَ عليهم، فَأعطَتْ لجون إطعامَ البقرِ، وأعطَتْ لِجاك رِعايةَ الأغنامِ، ولفلورانس جَمْعَ البيضِ ورعايةَ الإوزِّ، وأوْكَلَتِ المزرعةَ الصغيرةَ للأخَوَينِ ليوناردو وأوليفييه، فرضيَ كُلٌّ منهم بعملِهِ، وعاشوا حياةً هنيئَةً مِلؤُها الحبُّ والحنانُ والودُّ، ولكنَّ الزمنَ لا يُبقي شيئاً على حالِهِ، فقد تُوفِّيَتَ المرأةُ العجوزُ، وتركَتْ الصغارَ وحيدِين في منزلِها معَ الحيواناتِ، فراحَ الأصدقاءُ يَذكرونَ مآسِيهمْ الماضيةَ، وغزا اليأسُ والحزنُ قلوبَهُمْ الصغيرةَ، إلّا أنَّ وميضَ أملٍ بدأَ يَشِعُ في الأفقِ، ورُويداً رُويداً عادُوا إلى حياتِهم الطبيعيةِ، لأنَّهُ لا يأسَ معَ الحياةِ ولا حياةَ معَ اليأسِ، ورجِعوا إلى عِيشَتِهِمْ البسيطةِ التي ملَأها النشاطُ والعملُ الدَّؤُوبُ، مع تجلِّياتٍ

مَرِحَةٍ تَبرُزُ في وجوهِهم اليانعةِ، لكنَّهم لم يَنسوا تِلكَ العجوزَ الطيّبةَ، وبقيَتْ ذِكرى طيّبةً في قلوبِهم البيضاءَ الصغيرةَ.

وفي إحدى الأيامِ صُعِقَ الأصدقاءُ بِأحَدِ أبناءِ العجوزِ يُطالِبُ بِمنْزِلِ أُمِّهِ المُتوفَّاةِ، فكانَتْ تلكَ صدمةً كبيرةً تلقَّاها الأطفالُ، فحاولَ بعضُ كبارِ القريةِ بإقناعِهِ العدولَ عنْ مَطلَبِهِ عبثاً، ولم يُجدِ نفعاً فاضطرَّ الأصدقاءُ إلى الرحيلِ، وكانَتْ وِجْهَتُهُمْ باريسَ، لِيجدوا عملاً هناك يَكسبون من ورائِه رِزقاً طيّباً.

وفي صباحِ اليومِ التالي حَزمَ الأصدقاءُ أمْتِعَتَهُمْ في حقيبةٍ واحدةٍ، وانطلقُوا إلى باريسَ سيراً على الأقدامِ لعدمِ توافُرِ المالِ لديهم.

وفي أثناءِ الرحلةِ إلى باريسَ هبَّتْ عاصفةٌ قويةٌ كادَتْ تُودي بِحياتِهِمْ، لولا أنْ آوَتْهُمْ عائلةٌ فقيرةٌ كانَتْ تَكْسَبُ رِزْقَها منْ كَونِ عَمَلِ الوالدِ راعياً للأغنامِ.

جلسَ الأصدقاءُ بِضعَةَ أيامٍ عندَ تلكَ العائلةِ الفقيرةِ، ولكنَّهم شعرُوا بالعبْءِ الذي يشكِّلونَهُ على تلكَ العائلةِ، فقرَّرُوا الرحيلَ إلى باريسَ، وبالفعْلِ غادَرُوا ذلكَ الكوخَ الحقيرَ، وسارُوا قِدَماً نحوَ باريسَ بعدَ أنْ أعطَتْهم العائلةُ بعضَ الطعامِ، وهاهم أصدقاؤنا الصغارُ يسحَقونَ تحتَ أقدامِهم حبَّاتِ الثرى المتناثرةَ مع الرياحِ المتجهةِ نحوَ الشمسِ، وفي أثناءِ الرحلةِ سألَ أوليفيه أخاهُ:

- إلى متى ستستْتَمِرُّ رِحلَتُنا يا أخي؟
- حتَّى نَصِلَ إلى باريسَ.
- ومتَى سَنَصِلُ؟
- لا أعلمُ، وَكُفَّ عنْ طَرْحِ الأسئِلَةِ.
- أخي!
- ماذا تريدُ أيضاً؟
- هلْ لي بسؤالٍ أخيرٍ؟
- ما هو؟
- هل سَتَطولُ رحلَتُنا تلكَ؟
- ربَّما.

وتابعَ أصدقاؤُنا سيرَهم حتَّى وصلُوا إلى قِمَّةٍ عاليةٍ، وكانَ ذلكَ عندَ الغروبِ، فشاهدُوا باريسَ بأضوائِها الباهرةِ وأبنيَتِها العاليةِ التي يتوسَّطُها بُرجُ إيفلَ العالي، الذي كانَ لابدَّ لهُ إلّا وأنْ يَضعَ رأسَهُ بينَ السحابِ، وفي ذلكَ المشهدِ بدَأَتِ الرعشةُ تَسيرُ في أجسادِهِمْ الممتلئةِ بالحيويةِ والنشاطِ، رَغمَ المسافاتِ التي قطَعُوها، وبدا السرورُ على وجوهِهم التي لا تُخفي شيئاً منَ العفويةِ التي يتميَّزُ بها الصغارُ عن غيرِهم منَ المخلوقاتِ، وهُنا شعرَ أصدقاؤُنا بالجوعِ فأفرغُوا ما بقيَ لديهم منَ الطعامِ في

أجوافِهِمْ، وبدأَ النُّعاسُ يسري في أجسادِهِمْ، فاستسلمُوا للنومِ على تلكَ القمَّةِ ذاتِ الصخورِ القاسيَّةِ، ومعَ بُزوغِ الفجرِ راحَتْ قَطَرَاتُ النَّدى تُداعِبُ وجوهَهُم الرقيقةَ، وعندما استيقظُوا جميعاً شَدُّوا الرِّحَالَ إلى باريسَ راكضينَ بِسُرعةٍ تفوقُ سرعةَ الرياحِ، وياللأسفِ الشديدِ فقدْ تعثَّرَ أوليفيه أثناءَ جرْيِهِ بحجرٍ صغيرٍ، فلُوِيَ كاحِلُهُ ولم يستطِعْ مُتابعةَ السيرِ، فاضطرَّ ليوناردو و جاك إلى حَمْلِهِ، وهذا أخَّرَ الوصولَ إلى باريسَ قليلاً.

وهاهم على مشارفِ باريسَ المنتظرةَ، والتي كانَتْ تسري وتجولُ في خيالاتِ أصدقائِنا، وعندما دخلُوا باريسَ المدينةَ الكبيرةَ، بدأَتِ الشمسُ بالغروبِ، فبحَثَ الأصدقاءُ عن مكانٍ بينَ الزُّقاقِ يَقْضُونَ فيه لَيلَتِهِمْ. وفي تلكَ الليلةِ بدأَتْ فلورنسُ تُعالجُ أوليفييه ببعضِ الحركاتِ الخفيفةِ التي قدْ تعلَّمَتْها منْ أمِّها، والتي تُساعدُ أوليفييه على العملِ، وفي الصباحِ رَاحَ الأصدقاءُ يَجوبونَ الشوارعَ بحثاً عنْ عَمَلٍ يَلُمُّهُمْ سويّاً، لكنَّهم فشلُوا، بذلكَ فاضطرُّوا للتسوُّلِ لِيجنُوا بَعضَ الفرنكاتِ التي قد تُساهِمُ في سدِّ رمقِهِمْ، وقادَتْهُم الحاجةُ إلى الانضمامِ لجماعةٍ من الأطفالِ يقودُها رجلٌ جَشِعٌ أحَبَّ النقودَ وبريقَها لِيُطعِمَهمْ في آخرِ النهارِ بضعُ اللقيماتِ، والمنامةُ في مستودعٍ قديمٍ في ضواحي باريسَ.

عاشَ الأصدقاءُ في ذلكَ المكانِ الذي لا يَمنَعُ عواصفَ الشتاءِ ولا حَرَّ الصَّيفِ، ويتلَقَّون فيهِ كُلَّ أنواعِ الضَّربِ والعُنفِ من ذلكَ الجشعِ وكَبُرَ الأصدقاءُ في تلكَ المنطقةِ النائيةِ عن باريسَ الكبيرةِ المُثْقَلَةِ بالصَّخَبِ والحياةِ، حيثُ عاشُوا الذّلَّ والمُعاناةَ التي لا يحتَمِلُها أحدٌ مِنَ الصَّغارِ، ولَربَّما بعضُ الكبارِ أيضاً.

وفي أحَدِ الأيامِ وبينما كانَ جان يُمارسُ عملَهُ متَسَوّلاً في أحدِ الشوارعِ ألقَتْ الشرطةُ القبضَ عليهِ بتُهمةِ التسوُّلِ، وأخذُوا معَهم جان إلى مركزِ الشرطةِ حيثُ أُدخِلَ إلى غرفةِ رئيسِ المركزِ الذي كانَ مُنهمِكاً ببعضِ الأوراقِ، وعندما لاحظَ وقوفَ جانْ بجانبِ الشرطيّ، سألَ الشرطيَّ:

- ماذا تريدُ؟ ومن هذا الفتى الذي معكَ؟
- سيّدي! لقد ألقيْتُ القبضَ عليه أثناءَ مسيري معَ الرجالِ بأحدِ الشوارعِ، ورأيْتُهُ وهوَ يتسوَّلُ.
- حسناً، اذهبْ ودعْني معَ هذا الشقيّ.

وعندَها سألَ جانُ رئيسَ المركزِ قائلاً:

- ما الذي فعَلْتُهُ يا سيدي؟
- وتسألُ بكلِّ وقاحةَ، ألا تعلَمُ أنَّ التسوُّلَ ممنوعٌ؟
- لا. لا أعلمُ يا سيدي.

- أخبرْني الآنَ لصالِحِ مَنْ تتسوَّلُ؟
- إنّي مُجبَرٌ على التسوُّلِ.
- ومَنْ الذي يُجبِرُكَ؟
- الحياةُ يا سيدي.
- هل تَسخَرُ منّي أيُّها الفتى اللعينُ؟
- لا، يا سيدي.

وأجهَشَ جانُ بالبكاءِ، فرأَفَ رئيسُ المركزِ بحالِهِ، وقالَ لَهُ:

- حسناً، حسناً هدِّئ من روعكِ َواسرُدْ لي قصَّتَكَ.
- سأخبِرُكَ بكلِّ قصَّتي يا سيدي.

وقصَّ جانُ قصَّتَهُ على رئيسِ المركزِ، فتغيَّرَتْ ملامِحُ وجهِهِ، وبدا على مُحيَّاهُ الحنوُّ لمَّا سمعَ منْ جان وقالَ له:

- يا لَكَ منْ مسكينٍ يا بُنيَّ!!

وأخذَ رئيسُ القسمِ يتأفَّفُ منْ أحوالِ الدنيا، ومنْ ثُمَّ اصطحَبَ جانُ إلى مَطعمٍ قريبٍ منَ القسمِ حيثُ أطعمَه هناكَ، وطلبَ منْهُ أنْ يُخبِرَهُ عن مكانِ إقامتِهِ معَ بقيةِ الأطفالِ، فقالَ جانُ:

- كنْتُ سأخبِرُكَ لكنَّكَ سبقْتَني يا سيدي، إنَّنا نقيمُ في مستودعٍ قديمٍ يقعُ في أطرافِ المدينةِ في حيٍّ فقيرٍ قُربَ مَقلبٍ

للنُّفاياتِ، حيثُ الروائحِ الكريهةِ والحشراتِ الكثيرةِ والحيواناتِ الشاردةِ.

وبعدَها أمرَ رئيسُ المركزِ بتجهيزِ حَملةٍ لمداهمةِ المكانِ، وإلقاءِ القبضِ على الرجلِ الجشعِ، وبالفعلِ جُهّزَتِ الحملةُ، وقد تكوَّنَتْ منْ عشرةِ عناصرَ مسلحينَ بالبنادِقِ، وراحَ مع الحملةِ جانُ ورئيسُ القِسمِ، فاتَّجهُوا نحوَ ذلكَ المكانِ الذي كانَ يَقطُنُ بهِ الأصدقاءُ معَ بعضِ الأطفالِ اليائسِينَ معَ ذلكَ البخيلِ الجشعِ، وعندما وصلَتِ الحملةُ إلى المكانِ المُحدَّدِ حيثُ كانَ الجشِعُ نائماً، وعندما شعَرَ بوجودِ الشرطةِ أوجسَ خِيفةً، وكانتْ فلورنسُ أقربَ الأطفالِ إليهِ، فأمسكَ بها من عُنقِها الصغيرِ، وهدَّدَ بقتلِها إذا اقتربَ أيُّ أحدٍ منهُ، فما كانَ منْ فلورنسَ إلّا أنِ انْقَضَّتْ على ساعدِهِ الخشنِ، وراحَتْ تنْهَشُهُ بأسنانِها اللؤلؤيةِ الصغيرةِ، فصرخَ الرجلُ من شدَّةِ الألمِ، وتركَها فسارعَ رجالُ الشرطةِ لإلقاءِ القبضِ عليهِ، أمَّا الأطفالُ مع الأصدقاءِ فقد وُضعُوا في مَيتمٍ صغيرٍ، لاقُوا فيهِ كُلَّ ما يلزَمُهم منْ عنايةٍ واهتمامٍ وحثٍّ لطلبِ العلمِ.

ومضَتِ الأيامُ وكبُرَ الأصدقاءُ وأصبحُوا أفراداً فاعلينَ في المجتمعِ، فغدا جونُ مهندِساً يُنشِئُ المبانيَ الضخمةَ، وأصبحَتْ

فلورنسُ طبيبةً تداوي المرضى منَ العللِ، بينما عملَ الأخوانِ في مطعمٍ صغيرٍ يُقدِّمُ الوجباتِ السريعةِ، أمَّا جاك فصارَ نحَّاتاً ينقُشُ الصخورَ بأسلوبٍ راقٍ، وعندما استقرَّ كلٌّ منهم في مجالِهِ تزوَّجَ جون من فلورنس، وأنجبَا أطفالاً، وتزوَّجَ ليوناردو وأوليفييه من أختَين بارعتَين في الجمالِ، أمَّا جاك فلم يُكتَبْ لهُ الزواجُ، وعندما كَبُرَ أطفالُ جون وفلورانس أسَّسُوا شركةً كبيرةً تقومُ بالأعمالِ التجاريَّةِ بينما امتلكَ أبناءُ ليوناردو وأوليفييه أكبرَ سلسلةِ مطاعمٍ في أوروبا.

وهكذا انتهَتِ الحكايةُ بعدما قاسى الأطفالُ أنواعَ عذابِ القدرِ والكبارِ لهم، لكنَّهم صبرُوا على ألامِهِمْ ليجنُوهُ في النهايةِ حلاوةَ الفرجِ الذي تلا صبرَهم.

رجوع للفهرس

قِصَّةُ ألمٍ

لمْ أُدْرِكْ في البدايةِ ماهيّةَ الحالةِ التي عِشْتُها يومَها، كانَ كُلُّ شيءٍ غريبٍ عنّي، الشّمسُ، السّماءُ وحتّى الطيورُ التي طالما ترنّمتُ بشدوِها، لم أعرفْ ما هي ومَنْ تكونُ؟ عِشْتُ لحظةً منَ الغيابِ حينَ قالَتْ لِي: اذهبْ فأنتَ الطّليقُ!!! كيفَ أذهبُ ؟؟؟ وأنا الذي مُنذُ نُعومةِ أظافري نَمَوْتُ وترعرعْتُ في حُبِّها، أسرَني منذُ البدايةِ وجهُها الساحرُ، وعَذَّبني طبعُها الساخرُ، اعتدْتُ على عَذابي وأشجاني فأعيشُ على بصيصِ أملٍ يروي ظمَئي!!!

أملٌ بِحُبٍّ يروي قلبي القاحلَ وفؤادي الغافلَ...
حبٌّ يُنعشُ روحي الراكدةَ، يُشعرُني أنّي إنسانٌ، يَنعمُ بإنسانيَّتِه الحقيقيةِ، لكنْ قدري أنْ أبقى مُجرَّدَ طَلٍّ و ظِلٍّ.
قالتْ لي كلمتَها لِتغادرَني الحياةُ، لتموتَ روحي، لتندثِرَ الأطلالُ التي خلَّدْتُها في الماضي.
أيُّ موقفٍ هذا الذي أنا فيه؟
أيُّ ذَنْبٍ ارتكبْتُ لأستحقَ كُلَّ هذا؟
أسيرُ في الشارع وحيداً كئيباً تائهَ الخُطى مُشتَّتَ الأفكارِ، أشياءَ تَجلِبُني وأُخرى تأخذُني.

عصفَتْ بي ريحُ الغدرِ، وأحرقَتْ شمسُ الخيانةِ عالمي.

الآنَ ...ما الذي يجبُ أنْ أفعلَهُ؟ هل أُنهي حياتي بطريقةٍ هادئةٍ؟

هلْ يَجبُ عليَّ تَوسُّلُها لِتقْتُلَني بطريقةٍ أرحمُ منَ التي قتلَتْني فيها؟

هل أبحثُ عن فتاةٍ أُخرى تُنسيني حياتي القديمةَ ؟

لا... لنْ أفعلَ، لا هذا ولا ذاك، سوف أُطفِئُ نفسي أُغلِقُ أبوابي ونوافذي

سوف أُغادرُ نعم سوف أُغادرُ....

أُغادرُ إلى النسيانِ إلى السَّرابِ، سأبقى مجرَّدَ تِمثالٍ حجريٍّ، يَروي قِصَّةَ ألمٍ.

رجوع للفهرس

حالة حب ج1

كانَ كُلُّ شيءٍ على ما يُرامُ إلى أنْ تُوفِّيتْ شقيقتُها في حادثِ سيرٍ، وهنا كانتِ الصاعقةُ التي قسمتِ الشجرةَ إلى نصفينِ، حيثُ رحلتْ التي كانتْ معها في أحلامِها وتطلُّعاتِها.

عندما أتاها الخبرُ لم تُصدّقْ ما حصل، تمالكتْ نفسَها قليلاً وتوجّهتْ إلى منزلِها، حيثُ رأتْ تأثيرَ الصدمةِ على والِدَيها، فواستْهُما بأدبٍ والدموعُ تترقرقُ في عينَيها، ثُم ذهبتْ إلى غُرفتِها وهناك أرادتْ أنْ تُعطيَ الحُريةَ لدموعِها لكنّها لم تستطعْ، أحسّتْ أنّ هُناكَ ما يمنعُها من البُكاءِ، أرادتِ الصّراخَ فلم تنْجحْ، احتبسَ بُركانٌ منَ الألمِ داخلَها، فاضَتْ روحَها هُنيهةً، أرادتْ فِعلَ أيَّ شيءٍ، بعثرتْ كُتبَها بشدّةٍ وغضبٍ، وإذا بصورةٍ لها ولشقيقتِها الراحلةِ سقطتْ أرضاً من بينِ طيّاتِ أحدِ الكُتُبِ، أمسكَتْ الصورةَ بكِلتا يدَيها، ضمّتْها إلى صدْرِها وأجهشتْ بالأنينِ والبُكاءِ، ثُم نظرتْ إلى الصورةِ من جديدٍ، وراحتْ تلومُ أُخْتَها على رحيلِها، وهي التي تعلمُ أنّها لا تستطيعُ العيشَ دونَها، أخذتْ بالصّراخِ وهي ترثي الراحلةَ، شتّتتِ الصمتَ السائدَ، ملأتِ الهواءَ بصيحاتٍ من ألمٍ وصرخاتٍ من لوعةٍ، صدحْتِ الغرفةُ بعويلِها، تعِبتْ عينَيها من كثرةِ البُكاءِ، أصبحَتْ وجنتاها مسالكاً لدموعِها

المحمّلةِ بالأسى والحزنِ، لملمتْ نفسَها وأخفتْ معالِمَ الانهيارِ عنها.

ارتدَتْ مِعْطَفها وخرجتْ إلى الشارعِ وكُلُّها أملٌ في أنْ تجدَ شيئاً ما يخفِّفُ عنْها مأساتِها التي أضاعتْ صِباها، ونثرتْ شبابَها مع الريحِ، بدأتْ رِحلةُ البحثِ عمّنْ يُخلِّصُها منْ عذابِها.

حدّثَتْها نفسُها أن ترويَ مُعاناتِها لأيِّ شخصٍ تلقاهُ عيناها لكنّها رفضَتْ، تسلّلتْ إليها فكرةُ الانتحارِ واللحاقِ بمنْ كان أعزَّ مخلوقٍ عندها، اقتنعَتْ بهذا الخاطرِ، تسارعَتْ خطواتِها نحوَ تنفيذِ ما تصبو إليهِ، لكنّها شعرتْ أنّهُ منَ الواجبِ أنْ تُريحَ نفسَها المجروحةَ قبْل افتراقِ الروحِ عن الجسدِ، فلم تعرفْ كيف؟ إلَّا أنّ الدرْبَ الذي كانتْ تسيرُ عليهِ أرسلَ لها حلًّا تَمثَّلَ بوجودِ هاتفٍ للعمومِ على أحدِ جانِبيهِ، سارتْ نحوَهُ على عجلٍ، وأمسكتِ السمّاعة بيدّيها الحارّتينِ، وأغلقتْ على نفسِها البابَ وأبعدتِ العالمَ عنها، إلّا شاباً اقتربَ منْها وأخفى نفسَهُ في مكانٍ قريبٍ منها دونَ أنْ تشعُرَ.

كانَ حالُ هذا الشابِّ قريباً من حالِها، شتّتَتْهُ الدنيا في بحورِها رُغمَ عِلْمهِ بما تحويه من أهوالٍ ومتاعبٍ، فحاولَ محاولاتٍ شتّى

لِكيلا تتغلّبَ عليه الدنيا، لكنّ محاولاتِه باءَتْ بالفشلِ إلى أنْ أيقنَ أنّ الحبَّ هو السبيلُ الوحيدُ لخلاصِه من بؤسهِ وشتاتِهِ، وعندما رأى هذه الفتاةَ أحسَّ أنّها نِصفهُ الآخرُ بعد أنْ عانى الفراغَ والضياعَ.

أمّا هي فبدأَتْ تروي قِصّةَ حياتِها على الهاتِفِ وتتنهّدُ بينَ الفينةِ والأُخرى، وتفِرُّ دمعةٌ من عينيها كلّما مرّتْ بلحظةِ ألمٍ، والشابُّ يسمعُ ما ترويهِ فخرجَ إليها فاتِحاً ذراعيه.

تفاجأتْ بهِ، غضِبتْ أشدَّ الغضبِ لكنْ كانَ هناكَ شيئاً غيرَ الغضبِ تملَّكَها، فركضتْ نحوَهُ مباشرةً وارتمَت في أحضانِه، كانَ مشهداً فيّاضاً بالأحاسيسِ، تتدفَّقُ فيهِ عاطِفةُ الحُبِّ، وتملأُ الأرجاءَ ثم رَنَتْ إليهِ ورَنَا إليها، وسادَ الصمتُ قليلاً، ثم لثَمَها واختفيا معاً وراءَ ضوءِ القمرِ.

رجوع للفهرس

حالة حب ج 2

منذُ صغرهِ كانَ ينقُصهُ شيءٌ، حاولَ معرفَتهُ لكنْ دونَ جدوى، كلّما تقدّمَ بالعُمرِ زادَ إلحاحهُ على استكمالِ نفسهِ.

في بدايةِ الأمرِ تفوّقَ على أقرانِهِ في المدرسةِ، وتحدّى مراهقتَهُ بحكمةٍ واقتدارٍ، ثم أنهى هذه المرحلةَ وتوجّهَ إلى الجامعةِ ليُكمِلَ تحصيلهُ العلميَّ، فألتحقَ بكُليّةِ الحقوقِ ودرسَ المحاماةَ، فكانَ مُميّزاً بينَ زملائِهِ سَعْياً منهُ في أنْ ينالَ مُرادَهُ، واستمرَّ هذا السّؤالُ إلحاحاً لديهِ: ما الذي ينقُصُني؟

حاولَ مُحاولةً أُخرى بافتتاحِهِ مكتباً للمحاماةِ، ومنْ ثم تأسيسِهِ لشركةٍ عقاريةٍ، لكنّ نفسَهُ لم تَرْتَح إلّا لتحُلَّ اللغزَ الذي غدا كأنّهُ لُغزاً سرمدياً، لا بدَّ من حلٍّ له ليُخلِّصَ نفسَهُ وروحهُ من هذا السؤالِ، راحَ يُمحّصُ بينَ جنباتِ الأيامِ وساعاته عن أيّ نافذةٍ تفتحُ لهُ أبواباً تفكُّ معضلَته.

صارَ كلَّ يومٍ يزدادُ نهلاً من هذه الدنيا، علَّهُ يبرّرُ ما ينقُصهُ لكنْ عبثاً، ازدادَتْ فلسفَتهُ، توضّحتْ لديهِ أمورٌ كانتْ مُبهمة، تشكّلتْ عندهُ قناعاتٌ رسّختْ مفاهيمهُ، ورُغم كلِّ هذا ظلَّ حائِراً تائِهاً في قرارةِ نفسِه، إلى أنْ أتاهُ يومٌ قرّرَ فيهِ أن يجِدَ ما يُنجيهِ من هذا

الهمّ الذي أرهَق عِظام روحهِ، فباعَ الشركةَ وزهدَ في الحياةِ، فلم يُرِدْ شيئاً سوى إنهاءِ معاناتِه مهما كلَّفَ الأمرَ.

في أحدِ الأيامِ خرجَ للشارعِ بعدَ أنْ بَعثرَهُ الملَلُ والضجرُ من مأساتِهِ، أرادَ فِعلَ أيّ شيءٍ ليُعبّرَ عمّا في داخلِهِ، سارَ في دربِهِ الطويلِ وعينَيهِ تصولانِ وتجولانِ على أطرافِ الشارعِ، فرأى شاباً وفتاةً قد غمرَهُما الحبُّ بظلالِه، وهُنا عَرفَ أنَّ الحبَّ سبيلُهُ الوحيدُ للنّجاةِ ممّا قاساه في أيامِهِ الخاليةِ.

فجأةً زغردَ الشغفُ في الشغافِ، وتَفجَّرَ بُركانُ العشقِ بعدما كانَ هامداً، واجتاحَتْ كيانَه عاصفةٌ من الصبابةِ ومشاعرَهُ الباطنيةُ كأنَّما انهمرَ عليها ماءُ الحياةِ، فاهتزَّتْ وربَتْ ثم أثمرَتْ نضارةٌ على قسماتِهِ وارتباكاً في حركاتِه ولهفةً في تأمُّلاتِه، لقد فارَ نبعُ الحبِّ في قلبِهِ، فهاهو رأى نصفَهُ الآخرَ أخيراً، وقد تَمثَّلَ بفتاةٍ بدا عليها الإعياءُ والتعبُ الشديدانِ اللذان لم يَقدِرا أنْ يُخفيا معالمَ حُسنِها وجمالِها، ولم تمهِلْها الدنيا مدةً كافيةً لِتفهمَها جيداً بل أرسلتْ إليها مُصيبةً تِلوَ الأخرى، إلى أن أتَتْها بِنتُ دهرٍ ضيّعتْ صِباها، سارَ خلفَها ولا يدري ما يفعلُ.

وعِندما دنا منها تحشرجَتِ الكلماتُ في حلْقهِ، ماذا يقول لها؟ لم ينطقْ ببنتِ شفةٍ، فرَّتِ الكلماتُ وغابَ صوتهُ في تجاويفِ صوتهِ ورئتيهِ، كأنَّ حبالَه الصوتيةَ تقطّعتْ، عبثاً يحاولُ ولم يشعرْ إلّا وساقاهُ تقوداهُ وتُخفياهُ في مكانٍ قريبٍ منْها، أمّا هي تُحاكي سمّاعةَ هاتفٍ توضّعتْ على قارعةِ الطريقِ، وراحتْ تروي قِصصَ الألمِ التي عانَتْها منذُ صِغرَها، وهو يستمِعُ إليها فما كانَ منهُ إلّا أنْ خرجَ إليها فاتحاً ذراعَيهِ، أمّا هي لم تدرِ ما تفعلُ؟ وما شعرتْ إلّا وهي في أحضانِ قلبهِ، ولم يتحادثا أبداً بل أعطيا لعينيهِما حريةَ الكلامِ وتبادلا القُبلَ، وغابا تحتَ ضوءِ الأفُقِ.

رجوع للفهرس

غروبُ الحبِّ

قديماً وبعيداً عن السرقةِ والقتلِ نبتَتْ وردةُ صداقةٍ فريدةٍ من نوعِها ليسَ لها أوصافٌ ولا ملامحٌ، إنّما هي داخلُ الذين أحيَوها ونمّوَها في صدورهِم وجوارِحِهم لتبقى دائماً لا يمسُّها أيُّ ضررٍ، إنّما تبقى دافئةً نضرةً عبقةً بالحُبِّ والوفاء، إنّ هذه الصداقةَ كانت بين شابٍ وفتاةٍ، إنّها صداقةٌ بكلِّ معانيها وأحداثِها.

وفي أحدِ أيامِ السلامِ التي عاشَها العالمُ، وفي فصلِ الربيعِ تحديداً التَقى الصديقانِ فوقَ تلةٍ عند الغروبِ، فشعرَ الشابُ بشيءٍ غريبٍ يشعرُ به أوّلَ مرةٍ طيلةَ حياته وصداقته، إنَّه الحبُّ الذي غمرَ قلبَه وحياتَه وملأهُ عنفوانٌ شديدٌ، لكنَّه لم يُفصحْ عمَّ في قلبِه لصديقتِه، إنّما أبقاهُ سِرّاً داخلَه، وفي نهايةِ اللقاءِ ودّعَ كُلٌّ منهما الآخرَ، فكانَ الشابُ مليئاً بالنشاطِ والحيويةِ وآملاً أنْ يلتقيَ بها مُجدّداً، وفي السنةِ التاليةِ أفصحَتْ وأعربَتْ الفتاةُ عن حُبِّها للشابِ، فرفرفَ قلبُه فرِحاً بعدما كتمَ سرَّهُ مدّةً كبيرةً، لا يقدِرُ أنْ يصبرَ عاشقٌ ولهانٌ مثلَه وانتهى اللقاءُ وكُلٌ منهما لا يرغبُ بذلكَ، ولكنّ للضرورةِ أحكامٌ.

عادَ إلى منزلِه وأكلَ بعضَ اللقيماتِ، ثم تمدّدَ على سريرِه ونامَ، في صباحِ اليومِ التالي وعندما استيقظَ شعرَ بوهنٍ وفتورٍ، فأزاحَ

اللحافَ عنه وظلَّ مُمدّداً في سريرِه يُبعثرُ حولَه نظراتٍ تائهةً حائرةً، كانت الشمسُ تُرسلُ أشعّتها الأولى فتخترَقُ النافذةَ الوحيدةَ في الغرفةِ، وترسُمُ من خلالِ الستارةِ المُسدلَةِ دوائرَ ذهبيةٍ تتراقصُ على الحائطِ المقابلِ، وفي ذِهنِه تميسُ أحلامٌ كبيرةٌ لعاشقٍ نادرٍ من نوعِه، وفي اليومِ التالي ذهبَ إلى عملهِ وهو شاردُ الذهنِ، تائهَ الخُطى، يترنّحُ في مشيتِه، وبعدما عاد إلى المنزلِ من العملِ دون أنْ يلقى حبيبتَهُ، ولجَ بابَ البيتِ واجتازَ العتَبة، خلعَ ثيابَ العملِ، وارتدى ثياباً عاديةً ثم مضى إلى التلّةِ التي كان شعورُ الحبِّ يتملّكُه أوّلَ مرّه.

كان الشابُ يُدعى محمودٌ والفتاةُ تُدعى سلمى، محمودٌ شابٌ عريضُ المنكَبينِ، قويُّ الساعدِ، راجحُ العقلِ، يتيمُ الأبوينِ، بشرَتهُ تميلُ إلى السُّمرةِ، أمّا سلمى فهي فتاةٌ جميلةٌ ذاتُ مَظهرٍ حسنٍ ولائقْ، تذهبُ كلَّ يومٍ إلى المدرسةِ لتُصبحَ معلّمةَ المدرسةِ في المستقبلِ البعيد.

في إحدى السنواتِ حلَّ القحطُ والجفافُ على القريةِ، فلا ترى أحداً مُبتسِماً، كانوا فُقراء يائسينَ، خارتْ قِواهُم في البحثِ عن الماءِ، تلِفتْ المحاصيلُ وهَلَكتِ المواشي وأصابَ الطاعونُ أهلَ القريةِ،

إنّها اللعنةُ السماويّةُ التي حلّتْ بالقريةِ، كلُّ هذا يتزامنُ مع فكرةٍ بدأتْ تتبلورُ في ذِهنِ محمودٍ ألا وهي الرحيلُ، وهكذا قرّرَ محمودٌ الرحيلَ إلى بلادِ الله الواسعةِ بحثاً عن عملٍ جديدٍ لأنَّ صاحِب الدكان الذي كان يعملُ فيه قد باعَه ليعيشَ من وراءِ ثمنِه، وعند الرحيلِ قرّرَ محمودٌ وداعَ سلمى فرفضتْ رحيلَهُ بحُجّةِ أنّها لا تُساوي من دونِه شيئاً، لكنّه صمّمَ على الرحيلِ وأصرّ.

وفي اليومِ التالي رحلَ وتركَ سلمى ترثي نفسَها على رحيلِه، استمرَّ الجفافُ مدّةَ ثلاثِ سنواتٍ، عانى أهلُ القريةِ خلال تلك المدّةِ الطويلةِ أقسى أنواعِ عذابِ الطبيعةِ للبشرِ، وبقيتْ سلمى تنتظرُ محموداً على أملِ أنْ يعودَ ولكنْ عبثاً، يتقدّمُ لها العُرسان الواحدُ تِلو الأخرَ، ويكونُ الجوابُ: لستُ موافقة.

وازدادتْ سلمى نُحولاً وشُحوباً، وأصبحتِ الدموعُ ملاذَها الأخيرَ في حياةٍ كُلُّها انتظارٌ متلهّفٌ، كانت تسمعُ صوتَ حبيبَها محمودٌ في الظلامِ، كما لو انّه حُلُمٌ أبديٌّ، كانت تستعيدُ ذكرياتِ الحبِّ القديمةِ لحظةً فلحظةً،

وبعد عشرين سنةً عاد محمودٌ إلى منزلِه، فوجدَهُ كما هو لم يتغيّرْ فيه شيءٌ، ولم يتغيّرْ في القرية شيءٌ سوى الناس، عاد محمودُ

بعد أنّ ضيّع شبابَ سلمى، وبعد أن مرّتْ عليه السِّنونُ وكان قد جمعَ مالاً وفيراً لإقامة مشروعٍ يعيشُ من ورائِه، وعندما غادرَ بيتهُ ليطّلعَ على المستجدّاِت، وعن طريقِ الصّدفةِ رأى سلمى، فصُدِمَ كِلا الطرفينِ، سلمى وقفتْ ذاهلةً أمام الحلمِ الذي تحقّقَ بعودةِ محمودٍ، أمّا محمودٌ فخفقَ قلبُه بالحنينِ والشوقِ، ثم ذهب كُلٌّ منهما إلى منزلِه، وفي ثاني لقاءٍ لهما إثر العودة، أحسَّ كِلا الطرَفين أنه أوّلُ لقاءٍ لهما بعد العذابِ والغربةِ والهجرِ اللذين عانياهُ بسببِ البُعدِ، فهاهُما التقيا والشوقُ يغمرُ قلبهُما، إنّهما جسدانِ بروحٍ واحدةٍ، وأخيراً سارعَ محمودُ إلى خطبةِ سلمى من أبيها فوافقَ الأبُ وتمّتْ مراسِمُ الزواجِ، ثم انتقلا إلى المدينة حيثُ عَمِل محمودٌ موظّفاً في المخابراتِ، وفي أثناءِ عملهِ أُبلِغَ عن عملية اختفاءٍ غريبةٍ من نوعِها، ذهب محمودٌ إلى مكانِ الحادثِ لكشفِ المُلابساتِ، وبعد العملِ الطويلِ وثمرةِ الجُهدِ المبذولِ كُشِفتْ مُلابساتُ الجريمة، إنّها عملية خَطفٍ بدافعِ الأخذِ بثأرٍ قديمٍ، وبعد خمسِ سنوات جاء القحطُ والجفافُ مرّة أخرى ليُدمّرَ أحلاماً كان قد بناها الزوجانِ معاً، وعادتِ المُعاناة إلى الشعبِ، وحرّق الجفافُ الأخضرَ واليابسَ، وامتصَّ كلَّ قطرة ماءٍ، فعطِشتِ

الأراضي والزروعُ، ولم يدُم طويلاً هذا القحطُ، فما إن مَضَتْ ثلاثة أشهرٍ حتى أغاثتِ السماءُ الأرضَ بمائِها.

عادتِ الحياة وزالَ العطشُ، مرّت السنينُ والزوجانِ يعيشانِ في رغدِ العيشِ ودعّتِه، ولم تدُمِ الفرحةُ طويلاً، حيثُ توفّي أبو سلمى ذلك الرجلُ المسكينُ الفقيرُ، الذي أفنى عُمرَه ليُطعِم أولادَه وزوجتَه، حزِنتْ سلمى كثيراً على فِراقِ من عاشتْ معهُ مُدّة خمسٍ وعشرين سنةً، إنّها مُدّةٌ كافية لجعلِ سلمى تتعلقُ بأبيها أكثر فأكثر.

كان محمودٌ جانب سلمى في كلِّ شيءٍ في السرّاء والضرّاء، وبعد موتِ والدِ سلمى قرّرَتْ سلمى أن تعودَ إلى القرية لترعى أُمّها العجوز وإخوتِها الصغار، وانتهتْ أيامُ الحزنِ وعادتِ العائلة إلى حياتِها اليومية حيثُ رُزِقتْ سلمى بطفلٍ صغيرٍ أسمتْه على اسم أبيها أحمد.

نما أحمدُ وترعرعَ في حُضنِ أبويه اللذانِ غمراهُ بالعطفِ والحنانِ، وعاد شبحُ الموتِ ثانيةَ عندما تجلّى بوفاة والدةِ سلمى بعد أن كبُر الصغارُ، وأصبحَ كُلٌّ منهم يعتمدُ على نفسِه ليكسِبَ رزقه، وانتهت أيامُ الحُزنِ أيضاً ورُزِقتْ سلمى بطفلةٍ جميلةٍ

أسمتها على اسم والدتها جميلة، ودخل أحمدُ في سِنِّ المُراهقة، فنشب خِلافٌ بينهُ وبينَ أبيهِ فغادرَ البيتَ مُسرعاً، وكانت هذه صفعةٌ موجعةٌ لسلمى، التي أخذت تُرثي نفسها على فراقِ ابنها.

أخذتْ جميلةُ تُصبّرُ وتقوّي أملَ أُمّها بعودةِ أخيها، وعندما ندِم الأبُ على مُغادرة أحمدَ المنزلَ، وجاءتْ للشيطانِ لعناتٌ كثيرة، وبعد خمسَ عشرة سنةً عاد أحمد إلى منزِلِ أبويه بعدما شبَّ أحمدُ وهرِمَ والديه في المقابل.

كانت فرحةُ سلمى لا توصَف بعودة ابنها، كان مشهداً فياضاً بالأحاسيسِ والمشاعِرِ والنُبلِ الإنسانية،

ثم قَدِم أحمدُ إلى أبيهِ الذي غمرتِ الفرحةُ قلبَه، ولكنه لم يُظهِر ذلك، دنا أحمدُ من أبيه واعتذر، ثم أخذ يقبّلُ يدهُ اليُمنى بينما اليُسرى تُداعبُ شَعَرَ رأسِ أحمدَ، ثم نظرَ الأبُ إلى ابنه ومن خلالِ النظراتِ فهِمَ كُلٌّ منهما الآخر، وبعد ذلك أطرقَ أحمد رأسَه بالأرضِ على الخطأ الذي ارتكبَه بحقّ أبويهِ وأختِه ونفسِه، ودارتْ عجلةُ الزمنِ، وقلبتْ كُلّ شيءٍ رأساً على عقبِ حيثُ أصابَ الطاعونُ القريةَ مرّةً أخرى وفتكَ بأهلِ القريةِ، ورحلَ الطاعونُ بعد أن ماتَ كُلٌّ من سلمى ومحمود وجميلة، ويا للأسفِ لم يجدْ

أحمدُ شريكة حياتِه، بل وحيداً بقيَ في حياته وعملهِ، وفي يومِ العطلةِ جلسَ وحيداً على التلّة التي كان يلتقي فيها أبويه عند الغروبِ، حيث أخذ يتذكّرُ الذكرياتِ الفائتةِ الماضية، ثم رحلَ والدموعُ تتلألأُ في عينيهِ الزرقاوين، بكى وبكى وبكى ثم رحلَ، رحلَ إلى الشمسِ، إلى الأُفقِ، إلى نهاية العالم.

رجوع للفهرس

غُربَتي ج 2

لِمَنْ أشكو أو ممّا أشكو، لكنْ لطالما كانَ المُبدِعُ غريباً في وطنِهِ وبين أهلهِ، هل أعتادُ على غُربَتي وأعيشُ معها، وهذا ضربٌ من الخيالِ أم أنّي أتوقّفُ عن طريقةِ تفكيري والتي أخذَتْ طابَع الإبداعِ.

قد لا أكونُ مُبدِعاً بكلِّ ما تحمِلُهُ الكلمةُ من دلالاتٍ، لكنّي أشعرُ بالإبداعِ في داخلي وفي كلِّ حركةٍ ولفتةٍ حتّى في أبسطِ الأمورِ، ماذا أفعلُ لأنجوَ ممّا أنا فيه؟ أحياناً أحاولُ التعايشَ مع دُنياي، لكنّي دائماً أكونُ الخاسرَ الأكبرَ، كيف أتصرّفُ لأخرُجَ من هذه الدوامةِ التي أرّقتْني منذُ صِباي؟

هل أحبُّ وأجربُ العِشقَ؟ لأفجّرَ كلَّ طاقاتي الإبداعيةِ في هذا اليمِّ، لكنْ ما الذي يُمكنُ أنْ افعلَه؟ والحبُّ دائماً يرفضُني، يا ربّي ماذا أفعلُ!؟ أرجوكَ أنْ تُسعفَني بحلٍ فأنا لا أطيقُ هذا.

ها أنا ذا أرسمُ من المِدادِ حروفاً وكلماتٍ أجهلُ إنْ كانتْ نِعمةً أم نقمةً، كلُّ الذي أعرِفُه أنّي لا أستطيعُ التوقّفَ عن هذا الرسمِ.

أجهلُ إلى الآنَ ماذا أريدُ من هذه الدنيا، والتي بلغتْ مُدّة إقامتي عشرون عاماً.

أنا مقتنعٌ تماماً أنَّ كلَّ أمرٍ بسيطٍ هو غايةٌ في التعقيدِ، وأنّ كلَّ مُعقّدٍ هو كلُّ البساطةِ، ولا أعرفُ إنْ كانت هذه القناعةُ صحيحةٌ أم لا؟ لكنّي كلّما تأمّلتُ قليلاً في هذه القناعةِ زادتْ صوابيتُها عندي.

تُرى من ذا الذي سيهّتمُ بكلِ ما كتبتهُ وسأكتُبهُ لاحقاً؟ هل أنا سابقٌ لعصري في مجالِ الكتابةِ، والتي هي نافذتي الوحيدةُ على الحياةِ في أمكنةٍ ضاقتْ فيها كلُّ سُبُلِ العيشِ.

بين الحينِ والآخرِ يراودُني سؤالٌ وهو أنّ الإنسانَ هو مسيّرٌ أم مخيّرٌ؟ وأنا سأكونُ مسيّرٌ – حسبَ شرعِ الله - لأنّي إنسانٌ فوقَ كلِّ الاعتباراتِ، ولطالما كانَ الإنسانُ ظالماً لنفسِه ولو بمثقالِ ذرّه، سوف أُسلِمُ أمري لرياحِ الأيامِ، فهي تُغيّرُ كلَّ ثابتٍ، وأنا متأكّدٌ أنّ هذا الحالَ سيتغيّرُ فدوامِ الحالِ من المُحالِ

رجوع للفهرس

حبٌّ ربيعيٌّ

في أيامِ الربيعِ الحلوة، وبعدما رفعَ الشتاءُ جناحَه عن القريةِ وعادتْ للأرضِ حرارتُها، وللعصافيرِ أغانيها امتزجَ حبَّه بالأرقِ، ففي أوّل أيّام الربيعِ قابلَ الفتاة التي أحبَّها قلبُه، و تاهَ في جمالِها عقلُه، فسلّم أمرهُ للعقلِ والقلبِ، وأصبحَ سجينَ حبٍّ تائهٍ، مع مُضيّ الأيامِ تقرّبَ إلى حبِّه الربيعي، وقدّم له الأزهارَ والأقاحيَّ، أما الفتاةُ التي أحبّها فقدّمتْ له قلبّها بعدما غمرتْه بشذى الورودِ وعبيرِ السوسن، كانت تستقدمُ الأشياءَ الزاهية من الحياةِ الرتيبةِ وتُقدّمُها لهُ على وقْعِ كلماتِ العشقِ، كانا في كلّ مرّةٍ يلتقيانِ تحت ضوءِ القمرِ الفضّي يتبادلانِ الحُبّ والقُبَلَ والهدايا، فيزيّنُ لقاءاتِهما صوتُ بومٍ جائعٍ أو مواءِ هرّة بين أحضانِ ذكرِها، بينما لا يتّسع وقتُ النهارِ لحَضْن لقاءٍ واحدٍ بين الحبيبينِ.

مرّ الربيعُ بسرعةٍ والحُب يكبُرُ بين العاشقين، وجاء الصيفُ وجلَبَ معه السهراتِ القمراء للعشّاقِ، وأيضاً أوقاتُ غوصِ الشمسِ في الأرضِ، ومع قدومِ الصيفِ لم يدرِ العاشقانِ أنَّ عُمرَ حبِّهما بدأَ ينقُصُ كلُّما كبُر. في أوّلِ الصيفِ كثُرتْ لقاءاتِهما، فكان يجمعُهما ظِلُّ شجرةٍ وقتَ الظهيرةِ أو بِضعة أمتَارٍ في صباحٍ نديٍّ، وفي كثيرٍ من الأحيانِ تعودُ بِهما الأيامُ إلى الوراءِ ليعودا طفليّن صغيرَين تتبوّأُ البراءَةِ مُحيّاهُما، وتفوحُ العفوَيةُ من ثغرَيهما، فلا

يجدان سوى ذرّاتِ الزمانِ ليُبعثراها في الأرجاءِ، كانا يُراقبانِ الفراشاتِ ويطاردانِ أحلامَهما الصغيرةَ بلعبةٍ أو قطعةِ حَلوى يُسّرانِ بها، وفي المساءِ يعودانِ ليستَمعا إلى حكايا الجدّاتِ عن أميرةِ الثلجِ وحمدي البهلوانِ وعنترةَ الشُجاعِ.

في إحدى المرّاتِ اجتمعَ الاثنان وقرّرَا وضْع حجرِ أساسٍ لزواجِهما ولم يعلما أنّ ذاكَ الحجَر لم يكنْ سوى مسمارٍ في نعشِ حبِّهما.

قال: في نهايةِ هذا الأسبوعِ سأتقدُّم لخطبتِكِ.

قالت: سأنتَظرُك على أوراقِ الوردِ وأضواءِ الشمعِ.

وافترقا على أملِ لقاءٍ أعظمَ من كُلِّ اللقاءاتِ التي جمعتْهُما، تسارعتِ الأيامُ وقَدِمَ اليومُ المُنتظرِ فتوجّهَ إلى بيتِها حاملاً معه كلَّ سِماتِ الأناقةِ، وأزهاراً اصطفاها من جنَّة الأرضِ، قرَعَ البابَ بهدوءٍ وبعد بُرهةٍ ظهَرَ من خلفِ البابِ وجهٌ دميمٌ مليءٌ بالغضبِ، فنَهَرَ الشابَّ ووبّخَه دون أن يدريَ لماذا؟ ثم كاد أن ينهالَ عليه ضرباً لولا أنّ الشابَّ أسلمَ رِجلَيه للريحِ وولّى هارباً.

وبعد بضعةِ أيامٍ التقى العاشقانِ في دوحةٍ غنّاءَ، وقبل أن يتكلَّما راحتِ العصافيرُ تُزقزقُ بنشوةٍ وسرورٍ، أما الفتاةُ فصارتْ تبكي وتبكي لِما آلَ إليه موعدُ تثبيتِ حبِّهما في الحياةِ بعقدِ زواجٍ يعتبرُه

أكثرُ الناسِ ورقةً مقدسةً، لكنّ العاشِقين لم يريا فيها سوى مُجرّدِ ورقةٍ وحروفٍ وكلماتٍ فقط لا غير، كفكفَ دموعَها حبيبُها، ثم قال: يكفي هذا البكاءُ يا ضياءَ عينيّ، أنا متأكّدٌ أنّ ما حدث في ذاك اليومِ لم يكنْ لكِ فيه أيُّ صلةٍ.

فمسحتِ الفتاةُ دموعَها بأكمامِها ثم قالت: لا، أنا سببُ المشكلةِ كُلِّها، أردتُ ألّا يتفاجأ أبي بقدومِكَ، وحدّثته عنكَ قبل أن تأتيَ بقليلٍ، وأخبرتُه أيضاً بحبّي لكَ، وكيف كُنّا نجتمعُ في الربيعِ الحلوِ والصيفِ النشيطِ، حدّثته أيضاً عن الليالي القمراءِ والصباحاتِ النديّةِ ولقاءاتِنا الطفوليةِ، لكنّي في النهايةِ أقسمتُ له أنه لم يحدُثْ بيننا سوى الحبِّ ولا شيءَ سِواهُ، فجُنَّ جنونَه وأشبعَني ضرباً مُبرّحاً، انظرْ إلى يدي وهُنا شُجَّ رأسي من شدّة ضربه لي، فثار الشابُ ثم قال: لِما أخبرته عن حُبِّنا؟ لقد دمّرتِ كلَّ شيءٍ، ولن يقبَل بي عريساً لكِ أبداً، لا وبل قد يسعى لقتلي. تبدّدَ غضبُ الشابِّ وأردفَ بنبرةٍ تشي بكثيرٍ من الحنانِ الممزوجِ بالعطفِ: حبيبتي لا تخشَي من شيءٍ فأنا لكِ وأنتِ لي.

وشارَف الصيفُ على الانتهاءِ وسَرى الاصفرارُ في أوراقِ الأشجارِ وقلَّ شدْو العصافيرِ، وبدأتْ تلوحُ في الأفقِ رياحِ شتاءٍ جديدٍ، وقلّتْ أيضاً لقاءاتُ العاشِقَين فلقد تفتّحتِ الأعينُ عليهما،

ولم يعُد خروجُ الفتاةِ من منزلِها أمراً سهلاً، بل صارَ من التعقيدِ بما كان، حتى الحُلُمِ أصبحَ ممنوعاً لدى الفتاةِ، فقد أحكمَ أبوها الحِصار عليها، ودأبَ على أخذِها معهُ إلى الحقلِ لتبقى تحت ناظريه، لكنْ هيهات أنّ تنسى ذاك الفتى الذي عطّرَ صِباها بحُبّه، أمّا الشابُ فأصبح كمنْ تُرغِمهُ الحياةُ على العيشِ، أرادَ الانتحارَ لكنَّه كان أقوى من الانهزامِ أوَ ليسَ الانتحارُ هزيمةً!؟

في كلِّ يومٍ يتوجَّه إلى عملهِ الكائنِ في آخرِ القريةِ، وفي المساء يعودُ إلى بيتِه ويأكُل ثم ينام فيأتي الصباحُ، يتوجّهُ إلى عملهِ مرّةً جديدةً دونَ أن ينقطعَ تفكيرُه ولو للحظةٍ واحدةٍ عن حلٍّ لحُبّه الذي سيموتُ إذا لم يُكافحْ لأجلهِ.

كان والِدُ الفتاةِ شخصاً يعملُ كلَّ يومٍ بجدٍّ ونشاطٍ، وهدفُه الوحيدُ هو تأمينُ لُقمةِ العيشِ لعائلتِه وإبعادُ المخاطرِ عنها، لذلكَ عَمِدَ إلى ضربِ ابنتهِ وأوشكَ على إيذاء الشابِ لولا فرارهِ، وكان ذلك من بابِ خوفهِ على ابنتهِ من الضياعِ مع شابٍ لا يعرفُ عنهُ شيئاً أبداً سوى أنّه سرَقَ قلبَ ابنته، كان يخشى من الدنيا بشكلٍ رهيبٍ، وأيضاً سمحَ للشكِّ أن يستقرَّ في أطرافِ نفسِه، ولكنَّ قسوتَهُ تلكَ كانت تُخفي وراءها رجُلاً بسيطاً يخفِقُ في صدرهِ لُبّاً امتلأ حُبّاً وتضحيةً.

في إحدى الأيامِ وبينما كانتِ الفتاةُ مع والدِها في الحقلِ أقدمَ أحدُ الأشخاصِ على اقتحامِ منزلِهما ودخولِه عُنوةً رُغماً عن الأمِّ التي تحوّلتْ إلى لبوءةٍ تُدافعُ عن بيتِها وأطفالِها الصِغار، تحوّلَ صراخُها بوجه اللصِّ إلى زئيرٍ، وأحسّتْ بداخلِها أنَّها تُريدُ افتراسَهُ وتقطيعَه بأسنانِها الجميلةِ إنْ هو حاولَ الاقترابَ منها ومن صغارِها، أمّا اللصُّ فقد خُيّلَ له أنَّه يقِفُ أمامَ موجةٍ عاتيةٍ تحملُ جبروتَ البحرِ كاملاً وإعصاراً يُريدُ أنْ يُبعثرَ أشلاءَهُ، لكنَّ خوفَه وذهولَه لم يمنعاهُ من إخراجِ حَربةٍ كان قد دسَّها في جيبِه، وأشهرَها بوجهِ المرأةِ التي راحتْ تكيلُ عليه سيلاً من السّبابِ والشتائمِ، وصدحَ صوتُها بأرجاءِ المنزلِ، وبثَّ الذعرَ في نفوسِ الأطفالِ الذين لم يعهدوا أمَّهم هكذا، وأيضاً علا صوتُها لِيمتدَّ إلى خارجِ المنزلِ، ويصلَ الشارعَ الذي كانَ يحتضنُ الشابَّ الذي تقدَّمَ لخطبةِ الفتاةِ، ولمَّا تناهى إلى مسمعِه صوتُ امرأةٍ تزأرُ من داخلِ بيتِ حبيبتِه أيقنَ أنَّ هناكَ أمرٌ جللٌ قد حدثَ، وجرى مُسرعاً إلى داخلِ البيتِ ليجدَ اللصَّ يُمسكُ بيدَي المرأةِ ويحاولُ تثبيتَها وتوثيقَها وهي تقاومُه بكلِّ ما أُوتيتْ من قوَّةٍ، فهرعَ إلى اللصِّ وأبعدَهُ عن المرأةِ ثم طرحَه أرضاً وانهالَ عليه سيلاً جارفاً من اللكماتِ، وفجّرَ بوجهِهِ بُركاناً من الكلماتِ، ثم نهضَ عنهُ واطمئنَّ

على سلامةِ المرأةِ، وأرادَ الخروجَ وفتحَ بابَ البيتِ لِيتفاجأَ بوجهِ صاحبِ الدارِ أمامَه ومعه حبيبةَ القلبِ، وعندما رآهُ والدُ الفتاةِ صعدَ الدّمُ إلى رأسِه وغضِبَ أشدَّ الغضبِ، وأمسكَ بعنُقِ الشابِّ وأرادَ خنقَه، إلا أنَّ زوجتَه صرختْ في وجهِه وقالتْ: أهكذا تُكافئُ من حمى بيتَكَ وسترَ عرضَكَ؟ لا أعتقدُ أنَّ ذلكَ من شيمِ الرجالِ.

فهدأَ الرجلُ من فورِه، وقال لامرأته: ما الذي تقولينَهُ! ماذا جرى؟ وقصّتِ المرأةُ ما حدثَ على زوجِها، فانبسطتْ أساريرُه، ثم قال: إنَّ جائزةَ مَن حمى بيتي وسترَ عرضي هي أنْ أهبَهُ أغلى ما أملكُ، واستدارَ نحوَ الشابِّ واستطردَ: يا بُنيَّ جهّزْ نفسَكَ للزواجِ من ابنتي، فلن أجدَ أكفأَ منكَ لحمايتِها ورعايتِها، وسوفَ تكونُ عوناً لنا في القادماتِ من الأيامِ.

وانتهى الصيفُ وأتى الخريفُ مزهِراً بالحبِّ والأملِ، تحوَّلَ رحيلُه واصفرارُه إلى مزيداً من الاستبشارِ والخيرِ للحبيبين، فلقد سعى الاثنانِ منذُ البدايةِ إلى تأمينِ سُبلِ الحياةِ لزهرةِ حبِّهما التي نمَت قبلَ زهورِ الحقولِ وأقاحي السهولِ، وها هي الآنَ ستعيشُ رغمَ حلولِ الخريفِ وأوان الذبولِ وستتحدَّى أيضاً شتاءَ الحياةِ وبرودةِ الأيامِ وعواصفِ العمرِ.

رجوع للفهرس

العودة

لم يعُدْ هناكَ أيُّ داعٍ للانتظارِ، عليّ الرحيلُ وفوراً، لكنَّني لا أستطيعُ أن أشعرَ أنَّ الحشائشَ من تحتِ قدمَي قيَّدتْني ومنعتْني من الحراكِ، أرى البحيرةَ أمامي كأنَّها مستنقعٌ من الدماءِ السوداءِ، والطيورُ من حولي كأنَّها أشباحٌ تريدُ سرقةَ روحي منّي، أفعلُ ما بوسعي لكي لا تفلتَ، لكنَّها مُغادِرتني شئْتُ أم أبيتُ! تُرى أيُّ مُصابٍ جَلَلٍ حلَّ بي؟ هل هو الموتُ؟ أم أنَّه موتُ الموتِ.

يا إلهي!! أأنتهي هذه النهايةَ البائسةَ؟ هل هي الوحدةُ أم أنّهُ الفراغُ؟ لقد تدمّرتْ ذاتي وتلاشى كياني، وفرّتْ مشاعري، كيف الخلاصُ؟ وأينَ أنتَ يا مُنقِذي.

ياهٍ لهذا الليلِ البهيمِ المُحيطِ بي! ما الذي أتى به إليّ؟ مَن الذي سلَّطَه؟ عليَّ كيفَ الرجوعُ إلى ما كنْتُ عليه؟ إلى سعادتي، إلى نشوتي، إلى فرحي وحُزني، إلى سروري واكتئابي، إلى صمتي!

آهٍ يا ألمُ ما أجملَك! أمام الذي يسحقُني ويُبعثرُني كأنّي حبّةُ قمحٍ تناثرتْ ذرّاتُها، كفى، كفى.

ما لكَ يا فؤادي! لِما أنتَ خائفٌ! هيّا استجمعْ قواكَ، وابحثْ عن مخرجٍ للأزمةِ التي أودَتْ بكَ وبي، وتمرُّ الدقائقُ ثقيلةً واهنةً

يتملّكُها العجزُ، وفجأةً بزغَ شيءٌ أمامي أعادَ الأملَ لنفسي، ألهمَني حلولاً عِدّةً اخترْتُ أضمّنها.

الآنَ يتوجَّبُ عليّ العودةَ لبارئي لتُشرِقَ الشمسُ من جديدٍ وتضيء حياتي ودربي، لِأُبصرَ جماليَّةَ الحياةِ وزينَتها، لِيعودَ إليّ كلّ شيءٍ والآنَ باستطاعتي الرحيلَ وأنا حرٌّ.

رجوع للفهرس

حكاية حب

هو أسمى شيءٍ عرَفَهُ الإنسانُ فتعايشَ معه وأسرفَ في وصفِه، جعلَه آيةً تغنّى بها، ووضعَه في موضعِ اللؤلؤ المكنونِ، فكانَ ياقوتةَ وجودِهِ وسرَّ بقائِه إنَّهُ الحبُّ الذي يلجُ القلبَ من غيرِ شعورٍ، فيَبُثُّ فيه الثقةَ والنشوةَ، ليغدوَ قلباً غيرَ الذي كانَ، هذا هو الحبُّ العُذريُّ الذي يتَّسمُ بنقائِه وصفائهِ.

كان يَحيا حياةً مليئةً بالنشاطِ والعملِ، ويسعى لأجلِ بناءِ مستقبلٍ زاهرٍ باهرٍ، إلى أن غزا الحبُّ قلبَه وفؤادَه فشعرَ بقوةٍ عارمةٍ تدفعهُ لمزيدٍ من الاجتهادِ والنشاطِ، غمرَتهُ ثقتُه بنفسه، أحبَّ كلَّ شيءٍ حولَهُ حتى الأشخاص الذين خدعوه أحبَّهم! أمّا هي فكانت كوردةٍ أيقظَها ربيعُ الحبِّ من سباتِ الرتابةِ فغدت كفراشةٍ تتنقّلُ بين الأقاحي بفرحٍ وسرور.

في لقائهما الأوّلُ افترشَتِ الطُرق ببراعمِ حبِّهما وتغنّتِ الدنيا بوجودِهما معاً، كانا سخيين بحبِّ بعضِهما فامتلَكا قلبَي بعضِهما البعض رغم صِغَرِ عُمرِهما، وأسّسا قصّة حبٍّ تكلّمتْ عنها المدينةُ جمعاء، أمّا هما فكانا في عالمٍ آخرَ، عالمٍ حالمٍ هائمٍ مليءٍ بالآمالِ والأماني، استمرّ هذا الحُبُّ العظيمِ عامين تجلّتْ خلالهما أحلى معاني الحُبِّ وأرقى مشاعِر الودِّ إلا أنَّ القدرَ لم يشأْ أن يُنهيها

نهايةً سعيدةً، بل أرادَ أن تكونَ نهايتُها مأساويةً يتحدّثُ عنها العشّاقُ في مآسيهم وأتراحِهم.

ففي إحدى الصباحاتِ، وبينما كان الشابُّ متوجّهٌ إلى عملِه، أوقفه أحدُ الأشخاصِ وطلبَ منه الابتعادَ عن الفتاة، ويُبعدَ عن نفسِه المتاعب فأبى ذلك، فكثُرتِ الضغوطُ عليها وعليه كي يبتِعدا عن بعضِهما البعضِ، لكنّ حُبَّهما كان كالنارِ التي يزيدُها الحطبُ اشتعالاً وتوهُجّ.

دام هذا الأمرُ إلى أنْ اضطُرَّ الشابُّ للسفرِ من أجلِ عمله، وهنا كانت بدايةِ النهاية، فقد زادتِ الضغوطُ على الفتاةِ وخُيّرَت إمّا الزواجُ من شابٍّ غريبٍّ والسفرُ معه خارجَ البلادِ، أو البقاءُ في الوطنِ ونسيانه، فرفضتْ كِلاهُما، إلا أنّ شدّة الضغوطِ أجبرتْها على قَبولِ أحدِهما، فكان نسيانُه علناً ومحادثتُه سرّاً الحلَّ الأنسبَ لها وله، حتى عاد من سفرِه والتقيا بعد شوقٍ وحنينٍ، فلم يتحدّثا أبداً بل منحا عينيهما حرّية الكلامِ حتى أتى والدُ الفتاةِ، وبلحظةِ جنونٍ نقلهُما إلى غير عالم، وقتلَ قصّة حبٍّ خلّدتْها دفاترُ التاريخِ وأساطيرُ الحبِّ حتى غدا مكان رحيلِهما مزاراً للعشّاقِ إلى الآن.

رجوع للفهرس

المأساة

ليس عيباً لكنّه مُذلٌّ...

ليس حراماً لكنّه مُهينٌّ...

إنّه الفقرُ سرطانُ المجتمعاتِ وداؤها، فما إنْ يغزُ مجتمعاً ما حتى تكثُرَ الجرائمُ والسرقاتُ، ولا تُفلِحُ الجهودُ المبذولةُ من قبلِ السلطاتِ المحليَّةِ لمكافحةِ هذه الآفةِ التي تفتُكُ بكافّةِ فئاتِ المجتمعِ.

ورِثَ عن أبيهِ فقرٌ مدقعٌ كانَ سببَ كلِّ مشاكلِهِ، حينَ تُوفّيَ والدَهُ كانَ عمرُهُ قرابةَ ثمانيةً وعشرين ربيعاً قضاها في الكدِّ والتعبِ بحثاً عن لُقمةِ عيشٍ لهُ ولأولادِه الذين كانَ الأسى قد ضيَّعَ براءَةَ طفولتِهم، في البدايةِ عملَ عملاً جعلَهُ يكسبُ لُقمةَ عيشٍ لهُ ولِأولادِهِ، لكنَّ الفقرَ كانَ شبَحاً يُطارِدُه أينما ذهبَ، فقد طُرِدَ من عملِه لسرقتِه مبلغاً من المالِ لمعالجةِ ابنهِ الصغيرِ الذي نهشَ جسدَهُ المرضُ، فمَن ذا الذي يُحاسِبُ شخصاً يريدُ أن يعيشَ، في إحدى الليالي تسلَّلتْ إليه فكرةٌ دنيئةً، فاقتنعَ بها ونفّذَها في صباحِ اليومِ التالي، لقد أطلقَ أولادَهُ في شوارعِ المدينةِ الكبيرةِ، متسوّلين شاردين يطلبون المالَ من الأشخاصِ الذين يلقَونَهم على قارعةِ الطريقِ، وعندها صارَ هؤلاءِ الأطفالُ عرضةً لكافَّةِ أنواعِ

الذلِّ من تحرُّشٍ جنسيّ إلى ضربٍ وطردٍ ونهرٍ، ما إنْ تراهم حتى تحسبَهم قطعَ لحمٍ تناثرَتْ على أطرافِ الطرقِ تنهشُها بين الحينِ والآخرَ لسعاتُ الدبابيرِ وعضّاتُ القططِ والكلابِ، إلى أن جاءَ يومٌ أُلقِي فيه القبضُ عليهم من قبلِ رجالِ الشرطةِ بتهمةِ التسوُّلِ، وهُنا اضطرَّ والدُهم لبيعِ المنزلِ الذي يقطنون فيهِ ودفعَ كفالةً لتُخرجَهم من السجنِ، وهنا كانت بدايةُ النهايةِ التي أرادَها القدرُ أن تكونَ، عندما خرجَ هو وأولادُه وأمُّهم من المخفرِ إلى الشارعِ لم يدرِ أينَ يأخذُ من معه؟ بل راحَ يسيرُ وهم يتبعُوهُ، وكان الصمتُ سيّدُ الموقفِ، النجومُ تلألأ في السماءِ وفي وسطِها بدرٌ منيرٌ طغى نورُه في السماءِ والأرضِ، وهو وأولادُه بدَوا كأنَّهم أشباحٌ تتحرَّكُ بينَ الأبنيَةِ الشاهقةِ، يسيرون ولا يعرفون أين تأخذُهم أقدامُهم، إلى أنْ نال منهم التعبُ، فأخذوا رُكناً قَصيّاً في شارعٍ ضيقٍ وافترشُوا الأرضَ، توسّدوا الحجرَ والتحفُوا السماءَ، في شتاءٍ كان هو الأبردُ، وسلَموا أمرَهم لسلطانِ النومِ إلا هو فراحَ يراقبُ الغيومَ وهي تجتمعُ لتبدأَ بإرسالِ حباتِ الودقِ، أخذ يُفكّرُ كيف يُنهي المأساةَ التي يعيشُها مع عائلته؟

وبينما هو مُطرِقٌ يُمحّصُ عن حلٍّ ثارتِ الريحُ، وشكَّلتْ أمامهُ عاصفةً خرجَ منها ثلاثةُ أطيافٍ، فذُهِلَ ممّا حدثَ أمام ناظرَيه،

وراحتِ الأطيافُ الثلاثةُ تأخذُ أمكنتَها حتّى شكّلَت معهُ مُربعاً، ثم قال لهم: مَن أنتم؟ فكانَ يُمثِّلُ الطيفَ الأوّلَ العاداتُ والتقاليدُ، والثاني الفقرُ، والثالثَ الشيطانُ، وبعدَ أن عرفَهم

قال الرجل:

- **ماذا تريدون منّي؟**

ط3:

- **أنا جئتُ لأخلِّصكَ ممّا أنتَ فيه.**

الرجلُ:

- **كيفَ ذلك؟**

ط3:

- **اقتلْ أولادَك وزوجتَكَ وانتحرْ.**

ط1 مخاطباً ط3:

- **أنت أخرقُ ولا تدري ما تقولُ؟**

الرجلُ مخاطباً ط3:

- **هذا ضربٌ من الجنونِ، ويستحيلُ أن أقدمَ على هكذا فِعل.**

ط2 مخاطباً الرجلَ ساخراً:

- **أنا عدوُّكَ وقدرُنا أن نكونَ أعداءَ، ولن تستطيعَ التخلُّصَ منّي فأنا قدرُكَ.**

الرجلُ مخاطباً ط2:

- **اصمتْ تبّاً لكَ لو كنْتَ رجلاً لقتلتْكَ ومزَّقْتكَ إرباً. إرباً...**

ط2 مخاطباً الرجلَ:

- **حمداً لله أنّي لسْتُ برجلٍ.**

ط3 مخاطباً الرجلَ:

- **إنْ لم تقتلْ أطفالَكَ ستبقى ذليلاً طوالَ حياتِكَ.**

الرجلُ مخاطباً ط3:

- **اغربْ عن وجهي أنتَ الآخرُ الذي عندي يكفيني.**

ط1 مخاطباً ط2 وط3:

- أنتم الاثنان اجتمعتُم على هذا المسكينِ، دعوهُ وشأنَهُ.

الرجلُ مخاطباً ط2 وط3:

- هذا صحيحٌ دعوني وشأني.

ط3 مخاطباً الرجلَ:

- أنا لا أقدرُ أنْ أرى شخصاً يتعذَّبُ ولا أساعدُهُ.

الرجلُ مخاطباً ط3:

- تبّاً لكَ ولمساعدتِكَ، تريدُ منّي أنْ أقتلَ أطفالي.

ط3 مخاطباً الرجلَ:

- وكيفَ ستعيشُ وأنتَ لا تملكُ فلساً واحداً لِتطعمَ نفسَكَ، ومَنْ معكَ.

الرجلُ مخاطباً ط3:

- الذي خلقَني هو الذي سيطعمُني أنا وعائلتي.

ط3 مخاطباً الرجلَ:

- لو كانَ سيطعمُكَ لَما أرسلَ لكَ هذا اللعينَ (مُشيراً إلى ط2)

ط2 مخاطباً ط3:

- إذا كنْتُ أنا لعيناً فأنتَ ماذا؟

ط3 مخاطباً ط2:

- لن أصغيَ إلى تُرَّهاتِكَ، فأنتَ آفةٌ على المجتمعاتِ.

ط1 مخاطباً ط2 وط3:

- كلاكما أسوأُ من بعضٍ كفّا عن هذا.

ط2 مخاطباً ط1:

- مَنْ أنتَ لتتحدَّثَ هكذا؟

ط1 مخاطباً ط2:

- أنا أمثّلُ كلَّ حسنٍ، ولقد وضعني أعقلُ الناسِ.

ط2 مخاطباً ط1:

- أنتَ مُتغيّرٌ في كلِّ لحظةٍ، انظرْ إلى نفسِك قبلَ عشرين عاماً كيفَ كنتَ؟ وكيف صرت؟

ط1 مخاطباً ط2:

- **حتى لو كنْت كما قلْت لكنْ يكفي أنّي مهما تغيّرْتُ أبقى الغالبُ، وكلٌّ منْ لا يتقيَّدُ بي فهو شاذٌّ.**

الرجلُ مخاطباً الجميعَ:

- **كُفُّوا عنْ هذا.**

ط3 مخاطباً الرجلَ:

- **لن ترتاحَ إذا لم تقتلْ مَنْ معكَ.**

الرجلُ مخاطباً ط3:

- **هذا أمرٌ مُحالٌ، وأنتَ سببُ كلِّ مشاكلِنا نحنُ معشرَ البشرِ.**

ط3 مخاطباً الرجلَ:

- **هههه أنا وُجدْتُ لهذا الشيءِ.**

الرجلُ مخاطباً ط3:

- **آه لو كنتَ رجلاً أنتَ الآخرَ لقتلْتُكَ أيضاً.**

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- **لا تُصغي إلى حديثِهِ واصبرْ فإنَّ الصبرَ مفتاحُ الفرجِ، والدّنيا إنْ خلَتْ فنَتْ.**

الرجلُ مخاطباً ط1:

- **لو لم تكُنْ خاليةً لما وصلتُ إلى هذا الحالِ.**

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- **إنّها ليسَتْ بخاليةٍ لكنْ هذه محنةٌ وستمرُّ طالَ الزمانُ أم قصُرَ؟**

الرجلُ مخاطباً ط1:

- **هذه ليسَتْ محنةٌ إنَّها بليّةٌ ولا أجدُ لها نهايةً.**

ط3 مخاطباً الرجلَ:

- **اقتلْ أولادَكَ وستكونُ النهايةُ حتماً.**

الرجلُ مخاطباً ط3:

- **ماذا فعلْتُ مع الله لِيرسلكَ إليَّ في هذا الوقتِ الصعبِ؟**

ط3 مخاطباً الرجلَ:

- أنا لم آتِ إليكَ فقط، بل أُرسلتُ لكلِّ بشريٍّ.

الرجلُ مخاطباً ط3:

- وفوقَ كلِّ هذا تأتي بمصائبَ جمَّةٍ.

ط3 مخاطباً الرجلَ:

- لو لم تكُنْ ضعيفاً لَما جئْتُ لمساعدتِكَ؟

الرجلُ مخاطباً ط3:

- أيّ مساعدةٍ تتكلَّمُ عنها؟ تريدُ أن أقتلَ أطفالي وأبعثرَ طفولتَهم، وأنثرُ براءَتَهم مع الريحِ وتسمّيها مساعدةً.

ط3 مخاطباً الرجلَ:

- اصبرْ إذاً وسنرى إلى أيِّ حدٍّ يُمكنُ أنْ يَصلَ صبرُكَ هذا؟

الرجلُ مخاطباً ط3:

- اتركني وأنا بألفِ خيرٍ دونَكَ.

ط3 مخاطباً الرجلَ:

- أيَ خيرٍ تتحدَّثُ عنهُ؟ انظرْ إلى الشارعِ الذي يلفُّنا سوياً، هل ترى فيه أيَّ مخلوقٍ شاردٍ إلاَّ أنتَ وأطفالك؟

الرجلُ مخاطباً ط2:

- هل سُررْتَ بهذا؟ لقد أصبحْنا أنا وأطفالي كالكلابِ الشاردةِ في عتماتِ الأزقَّةِ، وبين النفاياتِ ننامُ.

ط2 مخاطباً الرجلَ:

- مَنْ يُصغي لِكلامِكَ يقولُ أنَّكَ الفقيرُ الوحيدُ في هذا العالمِ.

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- دعْكَ منهُ وعليكَ بالصبرِ.

الرجلُ مخاطباً ط1:

- أيُّ صبرٍ هذا، والدي قضى ولم يجنِ من صبرِهِ سوى فقرٍ يكبُرُ يوماً بعد يومٍ

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- والدُكَ رحلَ ولن يعودَ، أمَا أنتَ فما زلْتَ موجوداً.

الرجلُ مخاطباً ط1:

- تبّاً لهذا الوجودِ.

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- الآنَ عليك بالسعيّ وأبدأ من هذا الصباحِ.

الرجلُ مخاطباً ط1:

- سعيْتُ كثيراً ولم أُفلحْ، الفقرُ يُلاحقُني كظلّي ولا أجدُ منهُ مهرباً.

وفجأةً تثورُ الرياحُ مرّةً أخرى لتُخرجَ طيفاً رابعاً مثّلَ ضميرِ الرجلِ، وبعدما أخذَ الطيفُ الجديدُ مكانَهُ، قالَ

ط4 مخاطباً الرجلَ:

- صحيحٌ كنْتُ تَسعى لكنَّكَ كنْتَ تفتقدُ إلى الجدّيةِ.

الرجلُ مخاطباً ط4:

- منذُ طفولتي كنتُ أحلمُ أن أتخلَّصَ من فقري هذا، كنتُ أحلمُ أن أؤسّسَ عائلتي بدونِ أيّ نقصٍ، لكنَّ الحرمانَ رسى بجفنيَّ ودمَّرَ كافَّة أحلامي وآمالي، لكنَّني لم أقنطْ بل حاولْتُ مِراراً وتكراراً دون فائدةٍ، بل على العكسِ لقد أذقْتُ

أطفالي طعمَ نفس الكأسِ التي شربْتُها، ولا أعرفُ كيف أكفّرُ عن ذنبي بحقّهم.

ط3 مخاطباً الرجلَ:

- أنا أدلُّكَ على فعلٍ تُكفِّرُ فيهِ عن ذنبِكَ.

الرجلُ مخاطباً ط3:

- وكيفَ ذلك؟

ط3 مخاطباً الرجلَ:

- كما قلتُ لكَ مسبقاً اقتلْهم واقتلْ نفسَكَ.

الرجلُ مخاطباً ط3:

- بالله عليكَ دعْني وشأْني أنتَ وأفكارُك

ط3 مخاطباً الرجلَ:

- تمهَّلْ عليّ قليلاً، إنْ قتلْتَهم فسوفَ تكفّرُ عن ذنبِكَ لأنَّهم إلى الآن يشربون من نفسِ الكأسِ، وأنتَ معهُم هذا أولاً، أمَّا ثانياً فأنتَ تعرفُ كيفَ ينظرُ إليكَ الناسُ دائماً يُشعرونَكَ

بالدُّونيةِ فضلاً عن الحرمانِ الذي عِشْتُه وتعيشُهُ مع هؤلاءِ الأبرياءِ الصغارِ.

الرجلُ مخاطباً ط3:

- حتّى لو فعلْتُ ما تقولُ، ما الذي سيقولُه الناسُ عنّي؟

ط3 مخاطباً الرجلَ:

- لا يهمُّكَ ما سيقولون، المهمُّ أنّكَ نجحتَ في تخليصِ نفسِكَ ومَنْ معكَ من سقمٍ لازمَكَ طوالَ حياتِكَ.

الرجلُ مخاطباً ط3:

- لا. لا. لا. لا. لا أقدرُ.

ط3 مخاطباً الرجلَ:

- بل تُقدّرُ القراراتِ الحاسمةَ تحتاجُ إلى قلوبٍ قويةٍ وجريئةٍ.

الرجلُ مخاطباً ط3:

- لكنّي بهذا سأفقدُ إنسانيتي.

ط3 مخاطباً الرجل:

- وهل تُسمّي الذي تعيشُهُ إنسانيةً، ليسَ معكَ ما تسدُّ بهِ رمقَكَ أنتَ وأطفالُكَ.

الرجلُ مخاطباً ط3:

- سأنتظرُ مُدَّةً من الزمنِ لعلَّ الفرجَ آتٍ.

ط3 مخاطباً الرجلَ:

- لو كانَ هذا الفرجُ الذي تتحدَّثُ عنهُ آتٍ لكانَ منذُ زمنٍ بعيدٍ أتى وليسَ الآن، ليسَ لدي أيُّ أملٍ.

الرجلُ مخاطباً ط3:

- لا أعرفُ لكنّي سأفكّرُ.

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- ما الذي ستفكّرُ فيه؟ كيف ستقتلُ فلذاتِ كبدِكَ؟ هل جُننْت؟

ط4 مخاطباً الرجلَ:

- كيف ستفكّرُ بذلكَ الشيءِ؟ ما الذي أصابكَ؟

الرجلُ مخاطباً ط1 وط4:

- دعْاني وشأْني، حياتي بدونِ فائدةٍ منذُ خُلقتُ إلى الآنَ.

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- هل رأيتَ أو سمعتَ أنَّ أحداً يُريدُ أنْ يقتلَ أطفالَهُ؟

الرجلُ مخاطباً ط1:

- لو كان هناكَ شخصٌ حالتُه كحالتي لكانَ فعلَ الذي سأفعلُهُ.

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- إذاً قررْتَ فعلاً أن تقتلَ أطفالَكَ.

الرجلُ مخاطباً ط1:

- ليسَ لديَّ الخيار.

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- بَلى لديكَ الخيارُ، الجَأ إلى الأخيارِ فهُمْ كُثرٌ.

الرجلُ مخاطباً ط1:

- ما الفائدةُ إذا كانُوا موجودين ولا يدرون بي.

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- **اذهبْ إليهم واطلبْ منهُم المساعدةَ.**

الرجلُ مخاطباً ط1:

- **لِأُتَّهمَ بالتسوُّلِ مرَّةً أخرى وأسجنَ، لا، لن أذهبَ إليهم.**

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- **هناك حلٌّ آخرَ اعرضْ مأساتِكَ على الجمعياتِ الخيريةِ إنَّ غايةَ تأسيسِها مساعدَتُكَ أنتَ وأمثالُكَ ممَّن جار عليهمُ الزمنُ.**

الرجلُ مخاطباً ط1:

- **وأينَ أجدُ تلكَ الجمعياتِ، وأنا لا أفقهُ شيئاً من القراءةِ والكتابةِ، ومَن يجبُ أنْ يبحثَ عمّن؟ أنا أم هم؟ وأنا لسْتُ ممَّنْ جارَ عليهمُ الزمنُ أنا ممَّنْ سحقَهم.**

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- **هل تُريدُ منهمُ النزولَ إلى الشوارعِ والصراخِ؟ أين أنتم يا فقراءُ؟**

الرجلُ مخاطباً ط1:

- **أنا لا أعلم كيف سيصلونَ إليَّ؟ الذي أعلمهُ أنّهُ إلى الآنَ لم يصلني أحدٌ إلى هذه اللحظةِ.**

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- **كيف سيصلونَ إليكَ وأنتَ تدفُنُ نفسَكَ في الحاراتِ الضيقةِ، وبين الأزقّةِ.**

الرجلُ مخاطباً ط1:

- **هل تُريدُ منّي الخروجَ إلى المدينةِ الكبيرةِ لِأُسحَقَ تحتَ الأقدامِ خلالَ مُدَّةٍ وجيزةٍ.**

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- **ومَنْ هو الذي سيسحقُكَ؟**

الرجلُ مخاطباً ط1:

- **الغالبيةُ من الناسِ هناكَ سيطَرَ عليهم الجشعُ والطمعُ، ومَن لا يملكُ شيئاً لنْ تكونَ قيمتُهُ شيئاً.**

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- لا أنا سأمنعُهم مِن ذلكَ.

الرجلُ مخاطباً ط1:

- قيلَ فيكَ سابقاً أنَّكَ متغيّرٌ والمالُ يُسرعُ في هذا التغييرِ.

ط1 مخاطباً الرجلَ:

لا يهمُّ ما يقولُهُ البعضُ عنّي المهمُّ أنّكَ إذا نفذْتَ ما تصبو إليهِ فإنَّكَ ستصبحُ شاذّاً وستغدو مثلَ الذين استحقرَهُم الناسُ بسببِ أفعالِهم الوحشيةِ.

الرجلُ مخاطباً ط1:

- لو كانَ الناسُ يهتمون بي لَما وصلْتَ إلى هذا المآل.

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- ألا تعلمُ أنَّهُ في هذا الزمانِ ضاقتْ أحوالُ الناسِ، وكلٌّ منهمْ أصبحَ لديهِ همومٌ كثيرةٌ ورغمَ ذلك فإنَّ هُناكَ مَن يُساعدُ أمثالَكَ.

الرجلُ مخاطباً ط1:

- حتى وإنْ ساعدوني في هذا الوقتِ فإنَ مساعدتَهم لي لنْ تُجديَ نفعاً لقدْ فاتَ الأوانُ وانتهى رصيدي من الأملِ.

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- لا ليسَ صحيحٌ، الأملُ موجودٌ منذُ الأزلِ وإليهِ.

الرجلُ مخاطباً ط1:

- لن ينفعَني أيُّ أملٍ، سأرِيحُ نفسي وأولادي بِرحلةٍ لا رجعةَ منها.

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- ألا تخشى كلامَ الناسِ عنكَ بعدَ رحيلِكَ؟

الرجلُ مخاطباً ط1:

- لم أخشَهُ وأنا بينهم لأخشاهُ بعدَما أغادرُ.

ط1مخاطباً الرجلَ:

- وستصبحُ حكايةً على كلِّ لسانٍ، وستُلاحِقُكَ اللعناتُ إلى لَحْدِكَ.

الرجلُ مخاطباً ط1:

- **على الأقلِ أشعرُ بوجودي في اللحظةِ الأخيرةِ، ولا أبقى أعيشُ على هامشِ الأيامِ.**

ط1مخاطباً الرجلَ:

- **إذاً أنتَ تبحثُ عن الشهرةِ.**

الرجلُ مخاطباً ط1:

- **أيَّ شهرةٍ تتكلَّمُ عنْها؟ (وأطلقَ صرخةً مدويةً صدحَ بها المكانُ، ثم تابعَ بحسرةٍ مريرةٍ) لو كنت أبحثُ عن الشهرةِ لانطلقْتُ أنا وأبنائي إلى أبوابِ الجوامعِ والكنائسِ نطلبُ المالَ من هناكَ.**

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- **لقد فعلتَها مرَّةً، وفشلْتَ، لذلكَ لا تجرؤُ على إعادتِها مرَّةً ثانيةً.**

الرجلُ مخاطباً ط1:

- **هل أنا مُخطِئ لأنّي أريدُ العيشَ حياةً كريمةً.**

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- **لا لسْتُ مُخطئاً، لكنَّكَ إنْ قتلْتَ أطفالَكَ تكونُ قد ارتكبْتَ الخطأَ الأعظمَ.**

الرجلُ مخاطباً ط1:

- **على العكسِ سأريحُهم من عذابِ الأيامِ لهم، أنْ يموتوا أفضلَ من أن يعيشوا بِذُلٍّ والموتُ سيأتيهم عاجلاً أم آجِلاً.**

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- **إنْ كُنتَ أنتَ وأبوكَ فاشلَينِ، فليس بالضرورةِ أن يكونوا مثلُكما.**

الرجلُ مخاطباً ط1:

- **كيفَ سيكونوا ناجحينَ وسرطانُ الفقرِ يسري بعائلتِنا من جدّي إلى أبي، ومِن ثمَّ إليَّ ولاحقاً إليهم.**

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- **لا تتسرَّعْ بالحكمِ على مستقبلِهم.**

الرجلُ مخاطباً ط1:

- **لسْتَ متسرعاً لكنْ من أينَ تتخيّلُ أن يأتيَ النجاحُ من بطونِهِمْ؟ التي لم تعرفِ كيف يكونُ الطعامُ منذ يومينِ أو أكثرَ؟ أم من ثيابِهم الممزَّقةِ والتي بالكادِ تسترُ عوراتِهِمْ؟**

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- **النجاحُ ليسَ متعلِّقٌ ببطونٍ خاويةٍ أو ثيابٍ رثَّةٍ، النجاحُ ضربةُ حظٍّ خلفُها سعيٌ دؤوبٌ.**

الرجلُ مخاطباً ط1 ساخراً:

- **هل ستأتي السماءُ بغيمةٍ تُمطرُ عليهم النقودَ؟ أم أنَّ هناكَ ملياردیراً يَقربُهم تُوفّي في بلادِ الغربةِ وليسَ هناكَ أيُّ ورثةٍ له سواهُم، هذا غيرُ منطقيٍّ، النحسُ والفقرُ وجهَين بعملةٍ واحدةٍ.**

ط1 مخاطباً الرجلَ:

- **المشكلةُ أنّي لا أملكُ أيَّ سلطةٍ عليكَ حيالَ موقفِكَ هذا، الذي لنْ يُثنيكَ عنهُ سوى ضميرِكَ، وحتى وإنْ لم يثنِكَ فنفِّذْ ما**

تريدُهُ، واذهبْ إلى الجحيمِ أنتَ ومَنْ معكَ، واعلمْ أنَّ اللعناتِ ستُطاردُكَ أينما حللْتَ.

4b مخاطباً الرجلَ:

- قلْتُ في نفسي أنَّ ما كنْتَ تتكلَّمُ بهِ محضُ أفكارٍ وخواطرَ، لكنْ يبدو أنَّكَ مُصِرٌّ على قتْلِ أولادِكَ.

الرجلُ مخاطباً 4b:

- لقد أرغمَتْني الأيامُ على ذلكَ.

4b مخاطباً الرجلَ:

- لو كانَ كلُّ رجلٍ مرَّ بما تمرُّ بهِ ونفَّذَ ما تريدُ تنفيذَهُ لهلَكَ نصفُ الناسِ.

الرجلُ مخاطباً 4b:

- لا ليسَ هناكَ مَنْ يُعاني مثلي.

4b مخاطباً الرجلَ:

- انظرْ إلى مصائبِ الناسِ تهونُ عليكَ مصيبتُكَ.

الرجلُ مخاطباً ط4:

- **وهل سيفيدُني النظرُ إلى مشاكلِ الناسِ في حلِّ مُشكلَتي، لا على العكسِ بل ستزدادُ هُمومي.**

ط4 مخاطباً الرجلَ:

- **أيَّ همومٍ هذهِ، أنتَ تملكُ كنوزاً لا تُقدِّرُ قيمتَها.**

الرجلُ مخاطباً ط4:

- **كنوزٌ وأنا لا أملكُ قرشاً واحداً لأسدَّ بهِ رمقَ أبنائي، وأيُّ كنوزٍ هي التي تتحدَّثُ عنها.**

ط4 مخاطباً الرجلَ:

- **ليسَ الطعامُ والشرابُ كلَّ شيءٍ، أنتَ لو تعلمُ كمْ من الحبِّ يُكنّه لكَ أطفالُكَ وزوجتُكَ لَما تجرَّأْتَ على التفكيرِ بهذا الشكلِ، فضلاً عن الصحةِ الجيدةِ التي تتمتَّعون بها جميعُكُم، عدا هذا المسكينِ الصغيرِ (مشيراً إلى طفلِ الرجلِ الصغيرِ)**

الرجلُ مخاطباً ط4:

- أنا أحبُّهُم أكثرَ ممَّا يحبُّوني، لكنْ ما فائدةُ هذا الحبِّ، هل أبيعُ منه قليلاً وأشتري بهِ الطعامَ.

ط4 مخاطباً الرجلَ:

- أنتَ لا تدري ما تقولُ، يبدو أنَّ الحاجةَ قد أعمَتْ بصرَكَ وبصيرتَكَ.

الرجلُ مخاطباً ط4:

- أحمدُ الله على أنّي لم أُجنَّ إلى الآنَ، لأنه لو كانَ أحداً غيري لفقدَ صوابَهُ منذُ زمنٍ بعيدٍ لا أملكُ ثمنَ طعامٍ أو شرابٍ، ولا حتى ذرّةَ أملٍ أعيشُ لأجلِها.

ط4 مخاطباً الرجلَ:

- الذي تُريدُ أنْ تفعلَهُ هوَ كلُّ الجنونِ، وإنْ كنتَ تريدُ المالَ لتشتريَ بهِ طعاماً وشراباً فاخترْ أحدَ كنوزِكَ واعرضْها للبيعِ.

الرجلُ مخاطباً ط4:

- ماذا تقصدُ؟

4b مخاطباً الرجلَ:

- **أطفالُكَ، إنْ بعْتَ أحدَهُمْ ستجني مبلغاً طائلاً.**

الرجلُ مخاطباً 4b:

- **ماذا تقولُ؟ أقومُ ببيعِ أطفالي.**

4b مخاطباً الرجلَ:

- **أنتَ تُفكّرُ بقتلِهم، وما دُمْتَ مُقتنعٌ بهذا الحلِّ، فأنا أدلُّكَ على حلٍّ أفضلَ، قمْ ببيعِ أصغرِهم فهوَ لن يصمُدَ أمامَ المرضِ الذي احتلَّ جسدَهُ الصغيرَ، وتذهبَ روحَهُ إلى خالقِها، أمّا أعضاؤهُ فتبقى لِمنْ يحتاجُها من المرضى، وإن تضحّيَ بأحدِهِمْ أفضلُ من أنْ تضحّيَ بِهم جميعاً، وهذا سيدرُّ عليكَ مالاً وفيراً تبدأُ به حياتَكَ من جديدٍ.**

الرجلُ مخاطباً 4b:

- **عندما بدأتَ بالحديثِ معي شعرتُ بالغبطةِ، لكنْ بعدَ كلماتِكَ هذه، كم أشعرُ بالأسفِ، لقد نطقْتَ بأشياءَ أفظعَ من الشيطانِ ذاتِه.**

4b مخاطباً الرجلَ:

- **هذا جزءٌ من فظاعةِ ما كنْتَ تنوي القيامَ بهِ، وأنا تحدَّثْتُ معكَ هكذا لِأدُلَّكَ على الصوابِ، إنَّ الخبيثَ يُعالَجُ دوماً بالأخبثِ، ولو لم أفعلْ هذا لَما صحوتَ ممَّا كنتَ تريدُ فعلَهُ.**

الرجلُ مخاطباً 4b والدموعُ تترقرقُ في عينيه:

- **قلتُ لكَ أني أجبرْتُ على ذلكَ.**

وأجهشَ الرجلُ بالبكاءِ بعدما احتبسَ الدمعُ داخلَ عينَيه أعواماً طويلةً، فأضحتْ تضاريسُ وجههِ مَجارٍ لأنهارِ الدموعِ التي تفجَّرَتْ من مقلتَيه، فبعثرَ الهدوءَ بصيحاتِهِ الممتزِجَةِ بالأسى والحزنِ، صرخَ وصاحَ كتعبيرٍ عمَّا يسكنُه لكنَّ صوتَه راحَ مع الريحِ التي تتلاعبُ بحباتِ المطرِ التي ازدادَتْ غزارتَها حين أطلقَ الحريةَ لدموعهِ، أمَّا الأطيافُ فراحَتْ تتراقصُ كملائكةِ الموتِ حولَ رأسِهِ، صاحَ وصاحَ وصاحَ دونَ جدوى، إلى أنْ أتاهُ صوتٌ متعبٌ كان صوتَ زوجتِهِ.

فقالَتِ الزوجة:

- **ما لك يا رجلُ؟**

الرجلُ:

- لا شيءَ، أكملي نومكِ.

الزوجةُ:

- كيف لا شيءَ وصراخُكَ صدحَ في السماءِ قبلَ الأرضِ.

الرجلُ:

- كنتُ أفكِّرُ كيفَ نتخلَّصُ من فقرِنا، لكنّني لم أتوصلْ إلى حلٍّ جيدٍ وصحيحٍ، كلُّ الحلولِ التي وصلتُ إليها قمةً في السوءِ.

الزوجةُ:

- أخبرْني إلى أينَ وصلْتَ بتفكيرِكَ لعلَّي أساعدُكَ.

الرجلُ:

- أسئلةٌ عدّةٌ هاجمَتْني وسرقتِ النومَ من عينيَّ.

الزوجةُ:

- وما هي تلكَ الأسئلةُ؟

الرجلُ:

- كيفَ سنعيشُ غداً؟ ومنْ أينَ سنأكلُ؟ وأين سننامُ ونحن هنا لا نملكُ شيئاً؟

الزوجةُ:

- اهدأْ. اهدأْ وخفِّفْ عن نفسِكَ هذا العناءَ.

الرجلُ:

- هذا غيرُ معقولٍ يجبُ أنْ أجدَ حلٍّ.

الزوجةُ:

- أخبرتَني أنَّكَ عثرْتَ على حلولٍ لم تكنْ صحيحةً فما هي؟

رفعَ الرجلُ نظرَهُ من على الأرضِ وحدَّقَ بوجهِ زوجتِهِ طويلاً، ثمَّ قالَ الرجل:

- لا. لا لن أخبرَكِ إيَّاها.

الزوجةُ:

- أخبرْني إيَّاها لعلَّها ليسَتْ بهذهِ الدرجةِ من السوءِ.

الرجلُ غاضباً:

- قلْتُ لكَ لن أخبرَكِ كُفّي عن الإلحاحِ.

الزوجةُ:

- حسناً نفِّذْ أحدَها علَّنا نتخلَّصُ من هذا الفقرِ، ولن يلومَكَ أحدٌ إذا علِم بمدى حاجتِنا.

الرجلُ:

- إذاً أقتلُكُم جميعاً ثمَّ أقتلُ نفسي أو أقومُ ببيعِ طفلِنا الصغيرِ.

الزوجةُ:

- ماذا لم أعِ ما قلتَ؟

الرجلُ:

- هذا ما كنْتُ أفكِّرُ القيامَ بهِ، وأريحُ نفسي وإيَّاكُم من ظلمِ الدنيا لنا.

الزوجةُ:

- لا أصدّقُ ما تقولُ؟ قلْ لي إنّكَ تمزحُ.

الرجلُ:

- بلى صدّقي، فهذا ليسَ وقتاً جيداً للمُزاحِ.

الزوجةُ:

- **أرجوكَ انسَ هذه الأفكارَ اللعينةَ، ودعْها للأيامِ فهي ستجدُ حلّاً عمَّا قريب.**

الرجلُ:

- **لا أستطيعُ، لقد سيطرَتْ عليَّ هذهِ الأفكارُ بشكلٍ تامٍّ.**

الزوجةُ:

- **أرجوكَ أنْ تكُفَّ عن هذا، أنا وأولادي لا نريدُ منكَ طعاماً أو شراباً، نريدُكَ أنتَ فقطْ، ولا نطلبُ شيئاً غيرَ ذلكَ.**

الرجلُ:

- **أن نموتَ بشرفٍ وكبرياءٍ خيرٌ من أن يقتلَنا وحشُ الجوعِ بدونِ شفقةٍ.**

الزوجةُ:

- **دعْكَ من هذه الأفكارِ وانهضْ لتنثرَ عنكَ غبارَ اليأسِ نريدُكَ أن تكونَ قوياً لنقوى من بعدِكَ، أما إذا كنتَ ضعيفاً فإنّنا سنصبحُ غزلاناً في غابةِ ذئابٍ.**

الرجلُ:

- **آاااااااااااااااااااه يا امرأة، لقد خارتْ قوايَ وتلاشى كياني بسببِ هذا الفقرِ الذي يجثُمُ فوقَ**

صدري، منذُ ولادتي وإلى الآنَ.

الزوجةُ:

- **هدِّئ من روعِكَ يا رجلُ، وسلِّمْ أمرَكَ إلى الله.**

الرجلُ:

- **آه كم أشعرُ بالتعبِ الشديدِ، هل تعلمينَ إلى أيِّ شيءٍ أحنُّ، إنّي أحنُّ إلى أن أرميَ نفسي في أحضانِ أمي وأزيلَ كافَّة همومي، في صغري كنتُ أُسرُّ بأنْ أرقدَ بحضنِ أمي ولا أعرفُ لماذا؟ أمَّا الآنَ وبعدما كبُرْتُ أنا بحاجةٍ أكثرَ من أيِّ وقتٍ مضى لأغفوَ في أحضانِكِ يا أُمّاهُ.**

الزوجةُ:

- **اصمدْ يا حبيبي اصمدْ وتمالَكْ نفسَكَ، ألا تذكُرُ عندما كُنَّا في مُقتبَلِ العمرِ، كيفَ جمعَ الحبُّ قلبَينا وانتشلَنا من متاهاتِ الدنيا إلى فسيحِ جنَّاتِهِ، ألا تذكُرُ أيضاً كيفَ كُنَّا نجمعُ المالَ**

بعبثيةِ الأطفالِ، عندما كُنَّا نقطفُ الورودَ والأزهارَ من الحديقةِ لنصنعَ منها أطواقاً وأكاليلَ يبتاعُها العشاقُ، وفي النهايةِ نشتري كيسَين من الذرةِ ونجلسُ على رصيفِ الشارعِ نتناولُها، ثم يأتي حارسُ الحديقةِ غاضباً يريدُ أن يُشبِعَنا ضرباً فنفرُّ هاربِين تاركِين، وراءنا أكياسُ الذرةِ تتناولُها العصافيرُ بنهمٍ، آهٍ لو تعلَمُ كم كنتُ أخافُ حينَ أرى ذاكَ الحارسَ الضخمَ يطاردُنا لكنَّي كنتُ أطمئِنُّ عندما أراكَ بجانبي، وأشعرُ فيكَ بكلِّ عواطفي فأرميَ كلَّ ذاكَ الخوفِ عنّي، لقد أحسسْتُ بمدى حبّي لكَ عندما عيّروكَ صديقاتي بفقرِكَ أمامي، فما شعرْتُ إلا لساني يتحرَّكُ تلقائياً، ليقولَ أنَّكَ حبيبي وأفتخرُ بذلكَ وأيضاً عندما تقدَّمْتَ لخطبتي ورفضكَ والدي بسببِ فقرِكَ عندها قلْتُ له إنْ لم أتزوّجْكَ فإنّي لن أتزوّجَ ما حييْت ولن أُسعدَ إلا بزواجي منكَ، فوافقَ أبي مرغماً وأخي الذي كادَ أن يقتلَني ليلةَ زفافي، لكنَّ الله لم يشأْ ذلك، تذكّرْ جيداً كم كانَتْ فرحتُنا كبيرةً بمولودِنا الأوّلِ، لقد أحببْتُ هذا المولودَ جداً... جداً ليس بعاطفةِ الأمومةِ فحسب، بل أحببْتُهُ لأنَّهُ منكَ كنتُ أرى فيه ذاتَكَ وذاتي مجتمعتَين، آهٍ لو تعلمُ كم أحبّكَ حبَّاً تعجَزُ

الحروفُ مجتمعةً عن خلقِ كلمةٍ تصفُ ذاكَ الحبَّ، كلُّ هذا عدا عن أطفالِنا الذين أنارُوا حياتَنا وزيَّنُوا حبَّنا بضحكاتِهم وأهازيجِهم، فكم سهرْنا الليالي الطوالَ ليرتاحوا وكم سعينا لنشعرَهم بعدمِ النقصِ والحرمانِ، تذكَّرْ جيداً يا عزيزي كيفَ كنْتَ تحلمُ أنْ تربيَهم على الخلقِ الحسنِ والأدبِ وعفَّةِ النفسِ، لولا الحماقةُ التي ارتكبتَها مؤخرَّاً، فجعلتَنا نفقدُ المنزلَ وها نحنُ ذا في الشارعِ بدونِ مأوى، يا زوجي العزيزِ إنَّ ما تريدُ فعلَهُ هو جريمةٌ من كافّةِ الجوانبِ انظرْ إلى نفسِكَ الآنَ، رجلٌ بسيطٌ يحلمُ أنْ يعيشَ حياةً كريمةً، لكنَّ الأقدارَ قسَتْ عليهِ وهي محنَةٌ ستمرُّ لا محالةً، فدوامُ الحالِ من المحالِ، لا أعلمُ كيف استطعتَ التفكيرَ بهذا الأسلوبِ، وأنتَ الذي تملِكُ قلباً أبيضَ كالثلجِ، ولا تشوبوه شائبةً أنا اخترتُكَ منذُ البدايةِ لأنَّكَ تملِكُ هكذا قلباً، وأولادُنا يريدونَكَ أنتَ فقط مصدرَ فخارِهم وعرينَ شجاعتِهمْ، يريدونَكَ بكلِّ ما فيكَ، أنتَ لهم الطعامُ والشرابُ والحبُّ والحنانُ، أنتَ لهم الحياةُ وكلُّ الحياةِ، فكِّرْ قليلاً بكلامي ثم نفِّذْ الذي تراهُ صحيحاً.

الرجلُ:

- **صحيحٌ يا حبيبتي، كلُّ ما قلْتِهِ كانَ صحيحاً، لكنّي لا أعلمُ ما الذي أصابَني يبدو أنَّ الشيطانَ قد زيَّنَ لي أن أقتلَكِ مع الأطفالِ، كم كنتُ ظالماً لنفسي لا أعرفُ ما الذي أقولُهُ لك، أرجوكِ أن تسامحيني على ما كنْتُ سأفعلُهُ، لو تعلمينَ كيف يجتاحُني الندمُ الآنَ، لقد تدمَّرَتْ ذاتي وتلاشى كياني وبُعثِرَتْ رجولتي، لقد فقدْتُ أعزَّ ما أملِكُ لم أعدْ أنفعُ لشيءٍ.**

الزوجةُ:

- **هوّنْ عليكَ يا زوجي العزيزِ، ما زالَ الأملُ موجودٌ.**

الرجلُ:

- **أنا أحتاجُ للمساعدةِ أرجوكِ ساعديني قبلَ أنْ أنهارَ.**

الزوجةُ:

- **لا تخشَ يا حبيبي سأساعدُكَ الآنَ، وفي كلِّ وقتٍ تحتاجُ فيه لمساعدَتي، تعالَ إليَّ وأطفِئ نارَكَ بصدري أنا كلِّي فداءَكَ.**

واقتربَ الرجلُ من امرأتِهِ وألقى رأسَهُ على صدرِها وراحَ يبكي بكاءَ الأطفالِ، لقد أحسَّ أنَّهُ في أحضانِ أمّهِ التي يَحِنُّ إلى لُقياها كلَّما تُطِلُّ عليه شَمسُ نهارٍ جديدٍ، أما زوجَتُهُ فراحَتْ تُداعِبُ شعرَ رأسِهِ برأفَةٍ وحنانٍ، كانَ مشهداً فيّاضاً بالأحاسيسِ دافئاً بالحبّ مُفعَماً بالوئامِ يَزيدُهُ جمالاً حبّاتُ المطرِ، والتي غدتْ كشُهبٍ تُنيرُ الأرضَ بكلِّ ما فيها، لقد شعرَ الاثنانِ بدفءِ الحبِّ رغمَ برودةِ الطقسِ التي اعترَتْ جسدَيهما مدَّةً من الوقتِ، وبثَّ فيهما الودُّ القوةَ والنشاطَ، وبينما هما في تلكَ الحالةِ من الحبِّ أُنيرَ الشارعُ من بعيدٍ بهالةٍ شديدةِ الضياءِ، بدأتْ تقتربُ منهما شيئاً فشيئاً، فأوجسَ الرجلُ خِيفةً وقالَ لامرأتِهِ: اختبئي ورائي أنتِ والأطفالُ، أمَّا الهالةُ فقد زادَ دُنوُّها وبدا فيها شيخٌ جليلٌ، خرجَ منها وأتى إلى الرجلِ، فقالَ له الشيخُ الجليلُ:

- سلامٌ عليكَ وعلى روحِكَ.

الرجلُ:

- مَنْ أنتَ؟ وماذا تريدُ منّي ومِن عائلتي؟

الشيخُ الجليلُ:

- لا تخفْ فأنا عملُك الصالحُ.

الرجلُ:

- لم تقلْ لي ماذا تريدُ منّي ومِن عائلتي؟

الشيخُ الجليلُ:

- قلتُ لكَ ألّا تخشاني، لقد جِئتُ لأزرعَ فيكَ الثّقةَ، لتبدأَ حياتَكَ مِن جديدٍ أنتَ وعائلتكَ.

الرجلُ:

- وما سببُ كلِّ هذا النورِ الذي حولَكَ؟

الشيخُ الجليلُ:

- إنَّهُ صبرُكَ الذي صبرْتَهُ مذ نشأتَ إلى الآنَ.

الرجلُ:

- هل هذا صحيحٌ.

الشيخُ الجليلُ:

- نعم هذا صحيحٌ، (وأخرجَ الشيخُ من ردائِه لؤلؤةً تتوهَّجُ ثمَّ تابعَ قائلاً) هل تعلمُ ما هذهِ؟

الرجلُ:

- **لا. لا أعلمُ.**

الشيخُ الجليلُ:

- **إنَّ هذه اللؤلؤةَ تُمثِّلُ حبَّكما أنتَ وزوجتُكَ، وقد ازدادَ توهُّجَها قبلَ أنْ آتيكَ بمدّةٍ قصيرةٍ، فكانتْ شدّةُ التوهُّجِ إشارةً لي لأجيءَ إليكَ.**

الرجلُ:

- **لم أفهمْ ما قلتَ.**

الشيخُ الجليلُ:

- **لقد كنْتُ مطَّلِعاً على ما دارَ بينكَ وبينَ الأطيافِ الأربعةِ، وسُرِرْتُ لأنَّك تغلَّبْتَ على الشيطانِ في النهايةِ.**

الرجلُ:

- **ولماذا لم تأتِ إليّ منذُ البدايةِ لِتنقِذَني ممَّا كنْتُ فيهِ؟**

الشيخُ الجليلُ:

- **دعْني أشرحُ لكَ، عند ما ازدادَ توهُّجُ اللؤلؤةِ علمْتُ أنَّ حبَّكَ لزوجتِكَ قد تفجَّرَ بعد ما كانَ هامداً، وهذا الحبُّ هو الذي أنارَ فيكَ حبَّكَ لأطفالِكَ، وحبُّ السعي لِأجلِهمْ وطردِ الأفكارِ اللعينةِ التي غزَتْ مُخيّلَتُكَ، ولو لم ينفجرْ هذا الحبُّ لما استطعْتُ المجيءَ إليكَ.**

الرجلُ:

- **لماذا؟**

الشيخُ الجليلُ:

- **لأنَّ اليأسَ والفقرَ قد سيطرا عليكَ.**

الرجلُ:

- **لا لم يُسيطرا عليّ فوراً، بل قاومْتُهما قبل أن يتمكّنا منّي.**

الشيخُ الجليلُ:

- **بلى، لو لم تكنْ يئِساً لما تمكَّنَ الشيطانُ من الدخولِ إلى أفكارِكَ وإقناعِكَ بقتلِ من معكَ.**

الرجلُ:

- حسناً، قلتُ أنَّكَ ستزرعُ الثقةَ في نفسي كيفَ ستزرعُها؟ وليسَ هناكَ ما يدعو للثقةِ الزائدةِ التي أخشاها كثيراً.

الشيخُ الجليلُ:

- لا عليكَ هذا عملي، وأنا أدرى بهِ منكَ لكنّي أشعرُ أنَّ هناكَ ما تُريدُ قولّه لي، ولم تقلْهُ فما هو؟

الرجلُ:

- نعم هذا صحيحٌ، أريدُ منكَ أنْ تدلَّني على طريقٍ أُكمِلُ به حياتي بدونِ فقرٍ.

الشيخُ الجليلُ:

- هذا ما كنْتُ أنوي القيامَ بهِ، ولكنَّكَ تعجَّلْتَ في طلبِه منّي.

الرجلُ:

- هل لي بسؤالٍ؟

الشيخُ الجليلُ:

- نعمْ، اسألْ يا ولدي.

الرجلُ:

- قبلَ هذه اللحظةِ عانيتُ الكثيرَ، لماذا لم تأتِني إلّا الآنَ؟

الشيخُ الجليلُ:

- يا بُنيَّ! لا تسألْ أسئلةً في غيبياتِ الأمورِ، الآنَ حدِّثْني كم كانَ حجمُ الندمِ لديكَ بعدما صحوْتَ من الذي كنْتَ ستفعلُهُ؟

الرجلُ:

- كبيرٌ أصعبُ مِن أن تصفَهُ حروفٌ وكلماتٌ.

الشيخُ الجليلُ:

- يا بنيَّ، إنَّ المالَ ليسَ كلَّ شيءٍ في هذهِ الدنيا التي هي بطريقِها إلى الزوالِ، فلا تُعلِّقْ نفسَكَ بأشياءَ زائلةٍ، يا بُنيَّ تثبَّتْ دوماً بالأمورِ الخالدةِ التي هي أساسٌ لهذهِ الدنيا، إنْ كنْتَ تسيرُ في وسطِ عاصفةٍ وصادفَتْكَ شجرةٌ، بماذا تُمسِكُ بالأغصانِ أم بالجذعِ؟ ستمسكُ بالجذعِ لأنَّكَ تريدُ أن تبقى مكانَكَ، ولا تريدُ أن تحملِكَ الرياحُ إلى مكانٍ تجهلَهُ. يا بُنيَّ إنَّ هذه الدنيا مُتغيّرَةٌ بطبيعَتِها يومٌ لكَ ويومٌ عليكَ، إنْ لم تخسرِ اليومَ فلن تربحَ غداً، حالُ هذه الدنيا كحالِ سباقِ

التتابعِ لا تستطيعُ الوصولَ إلى مرحلةٍ قبلَ أن تجتازَ المرحلةَ التي قبلَها، انظرْ إليها من بعيدٍ تراها تسيرُ وتسيرُ إلى أن تنتهيَ، لكنَّ المهمَّ لكَ أن تحدِّدَ خُطاً تسيرُ عليهِ ولا تبدِّلَهُ، مهما حدثَ معكَ من أزماتٍ وحوادثَ، حالُ هذهِ الدُّنيا كحالِ مدينةٍ كبيرةٍ يدخلُها كلُّ يومٍ أُناسٌ كثيرون، ويخرجُها أناسٌ أكثرُ ولا بدَّ لكلِّ زائرٍ جديدٍ أن يتوهَ في شوارعِ هذه المدينةِ قبلَ أن يتعلَّمَ السيرَ فيها، ها قد رحلَ عنكَ أبوكَ وقبلهُ جدُّكَ، والآنَ أنتَ ما زلْتَ موجوداً في هذه المدينةِ ضائعاً لا تعرفُ أينَ تذهبُ؟ وما الذي تريدُهُ حتّى ولكنَّكَ مُرغمٌ على دخولِ هذه المدينةِ شئْتَ أم أبيتَ؟ فلماذا تُكلِّفُ نفسكَ عناءَ التعلُّقَ بأمورٍ فانيةٍ، يا بُنيَّ إنَّ هذه الدنيا فيها الكثيرُ من الأشياءِ، فيها الغباءُ والحكمةُ فيها التهوُّرُ والحلمُ، فيها الحبُّ والحربُ، فيها الحقدُ والودُّ فيها الكثيرُ. الكثيرُ لِتتعلَّمَهُ لكنْ إيّاكَ والغضبَ، فإنَّهُ يُذهبُ العقولَ ويسبّبُ الكرهَ، يا بُنيَّ إنْ كنْتَ حقاً تُريدُ البدءَ من جديدٍ فعليكَ أنْ تضعَ ندمَكَ دافعاً لكَ من أجلِ السعي خلفَ رزقِكَ ورزقِ من معكَ، وعليكَ أيضاً أنْ تضعَ الحبَّ الذي يربطُ بينكَ وبينَ زوجتِكَ سراجاً تُنيرُ بهِ الدربِ الذي اخترتَهُ، وأهمُّ شيءٍ هو

أنْ تُحدِّدَ هدفاً تسعى لِتحقيقَهُ، ولن يكونَ هناكَ أسمى من سعادةِ أطفالِكَ هدفاً لكَ، وليسَتِ السعادةُ بجمعِ المالِ فقطْ السعادةُ تكمُنُ في الرضا مهما حدثَ معكَ فابقَ راضٍ عن نفسِكَ ولا تكونُ إلا أنتَ. إيَّاكَ والتشبُّهَ بالآخرينَ فتُضيّعَ نفسَكَ ولا تدري، يا بُنيَّ قد تُحدِّثُكَ نفسُكَ أنَّ ما أقولُهُ مجرَّدُ أقوالٍ وحكمٍ أكلَ عليها الزمانُ وشربَ، وأنَّكَ سمعتَها أكثرَ من مرَّةٍ وضجِرْتَ من تِكرارها على مسامِعكَ، وهذا خطأ كبيرٌ يقعُ فيهِ معظمُ الناسِ، أنا أعلمُ أنَّ الفقيرَ لن يسدَّ جوعَهُ حكمةٌ أو كتابٌ، لكنَّكَ إنْ وضعْتَ عقلَكَ جوهراً للواقعِ، فإنَّكَ بالتأكيدِ ستُغيّرُ المنظارَ الذي تنظرُ من خلالِهِ إلى الدُّنيا، يا بُنيَّ ليسَ الغنى بالمالِ وحسبُ، وإنَّما الغِنى غنى النفسِ، كنْ غنيّاً من الداخلِ فلا تشعرُ بأيِّ فقرٍ في الخارجِ، يا بُنيَّ إنَّ النفسَ عالَمٌ قائمٌ بحدِّ ذاتِهِ، إيَّاكَ وأن تتوهَ في خباياهُ وأسرارِهِ، تمكَّنْ منهُ واكتشفْ كلَّ غامضٍ فيهِ وأنشِئْهُ كيفما تُريدُ، فلن يصمُدَ هذا العالمُ ما لم تُدخِلْ عليه تعديلاتِكَ الخاصةِ، وَلتَكُنْ لديكَ رؤى متوافقةً بين العالمَين الداخلي والخارجي، يا بُنيَّ إنَّ روحَكَ كطائرِ العنقاءِ تُريدُ بكَ الذهابَ بعيداً إلى مستقبلٍ أفضلَ، فلا تَكبحْ جماحَهُ وتَكسرْ أجنحتَهُ

بأشياءَ مُتعلّقٌ أنتَ فيها وهيَ بالأصلِ ليستَتْ موجودةٌ، بل هي مُجرَّدُ أوهامٍ وسراباتٍ تأتيكَ من وحي الهمومِ اليوميةِ لهذهِ الحياةِ، يا بُنيَّ قبلَ أن أُنهيَ حديثي ليسَ العيبُ ألا تعلمَ العيبَ ألا تتعلَّمَ، فتَزوَّدْ من الدنيا لخيرِ ما فيها ونلْ قدرَ ما استطعْتَ من علومِ الدنيا فإنَّها بحارٌ لم يصلْ أحدٌ لنهايتِها، ولتَستفِدْ من تلكَ العلومِ، تملّكْ منها ما يُكملُ ذاتِكَ، واعلمْ أنَّ كلَّ ما بحوزتِكَ من جسدٍ وروحٍ ونفسٍ أماناتٍ سترُدَّها يوماً ما، فإيّاكَ أن تخونَ من ائتمنَكَ عليهم.

الرجلُ:

- هل تعلمُ يا سيدي لقد أضَأتَ في داخلي نقاطاً مُعتمةً، وجعلْتني أكتشفُ نقاطاً جديدةً سأسعى لإنارتِها، لن أقولَ شكراً وأفضحَ أسرارَ هذا الشكْرِ، بل سوف أجعلُ هذا الشكرَ في علمِ الغيبِ عندَ من يَعلمُ بهِ، فهذا الشكرُ أسمى من أن تصفَهُ الحروفُ، وسيبقى عند عالمِ الغيبِ، فهو أعلمُ بمدى هذا الشكرِ.

الشيخُ الجليلُ:

- أحمدُ الله على أنّي استطعْتُ إرشادَكَ إلى الصراطِ المستقيمِ، وأنا واثقٌ أنَّ كلماتِكَ هذهِ أوَّلُ درجةٍ تصعدُ بها على سُلَمِ النجاحِ في دنياكَ، الآنَ سوفَ أدعُكَ وأرحلُ، أمَّا أنتَ ففكِّرْ جيداً ولا تتعجَّلِ الأمورَ، "النجاحُ حلوٌ لكنَّ الوصولَ إليه كالعلقمِ"

الرجلُ:

- لا يا سيدي أرجوكَ البقاءُ لتكونَ سراجاً وهّاجاً أُنيرُ به البقيةَ المتبقيةَ من حياتي.

الشيخُ الجليلُ:

- كما قلتُ لكَ اجعلْ حُبّكما أنتَ وزوجتُكَ نبراساً تُنيرُ به حياتَكَ ولا تخشَ، فلن تتوهَ مرّةً أخرى في ظلِّ الدنيا لقد علّمْتُكَ الكثيرَ، وإنْ تبعْتَهُ بشكلٍ سليمٍ فلن تَتوهَ.

الرجلُ:

- لكنَّ ما الذي يمنعُكَ من البقاءِ؟

الشيخُ الجليلُ:

- يا بُنيَّ لسْتَ الوحيدَ في هذا العالمِ الذي يحتاجُ المساعدةَ منّي، وهناكَ الكثيرُ حالتُهم أسوأُ من حالتِكَ لذلكَ يتوجَّبُ عليّ الرحيلَ.

وبعدما أنهى الشيخُ الجليلُ كلامَهُ، رجعَ من حيثُ قدمَ واختفى بمثلِ ما ظهرَ، فعادَ الظلامُ إلى الشارعِ إلا أنَّ خيوطَ الفجرِ أعلنَتْ عن بَدءِ نهارٍ جديدٍ، أما الرجلُ فراحَ يطاردُ الشيخَ بنظراتِ امتنانٍ وإجلالٍ، وزوجتُهُ التي ظهرَ على مُحيَّاها ابتسامةً خجولَةً وخاطَبَتْ بعلَها.

الزوجةُ:

- والآنَ ما الذي ستفعلُهُ، وقد بدأَ النهارُ بظهورِ أوَّلِ خيطِ نورٍ في سطحِ السماءِ.

الرجلُ:

- مِنَ الآنَ سأعملُ كي أتعلَّمَ وأتعلَّمَ كي أعملَ.

الزوجةُ:

- حسنٌ ما تُريدُ فعلَهُ يا عزيزي، وأنا سأسيرُ معكَ على نفسِ الدربِ الذي اخترتَهُ لنبني مُستقبلاً مُشرقاً لأبنائِنا.

الرجلُ:

- صحيحٌ يا عزيزتي سنبني مُستقبلاً مُشرِقاً لأطفالِنا، أرجوكِ تفقديهم الآنَ.

وعندما قامتِ الزوجةُ بتفقُّدِ الأطفالِ، أتتْ إلى أكبرِهم فتحسَّستْ وجههُ بيدِها فوجدتْهُ بارداً كالثلجِ، فشعرَتْ بالذعرِ، وعندما أكملَتِ التفقُّدَ صرخَتْ بملء صوتِها !!

لقد رحلَ الأطفالُ إلى حيثُ كانَ يُريدُ أخذَهم أباهُم، فسلبَهم الموتُ من أحضانِ والدَيهم، فماتُوا من القرِّ الذي غزا كلَّ خلايا أجسادِهِم النحيلةِ، وجعلَهم كألواحِ الجليدِ الصُّلبِ، وعندما أحسَّ الرجلُ بالفاجعةِ جثا على ركبَتيه مُحدِّقاً بالأرضِ مُحاولاً إيجادَ مخرجٍ ممَّا حلَّ به، فتساءَلَ في نفسِهِ: هل أبكي لأريحَ نفسي؟ أم أنّي أضعُ ملحاً على جرحي وأصبرُ، هل آخذُ الأمرَ بواقعيةٍ بحتةٍ وأقتلُ أحاسيسي ومشاعري، فأركِّزَ على بناءِ مُستقبلٍ أفضلَ لي ولزوجتي، لكنْ كيفَ التنفيذُ وزوجتُه ملأتِ الأرجاءَ بعويلِها، فخاطبَها غاضباً: اصمتي ولا تزيدي النارَ في داخلي ثم أنصتَ إلى أنينِ عواطفِهِ، فشعرَ بألمٍ يغزو ألمَهُ وأسًى احتلَّ فؤادَهُ، فبكى وبكى البكاءَ لأجلِهِ، لقد فاضَتْ عيناهُ بالدمعِ، صارَ يبكي ويبكي ثم

أخذَ بالتحديقِ بالأرضِ، ثم أطلقَ ضحكةً عاليةً تزامنَتْ مع بدءِ نزولِ الناسِ للشوارعِ.

لقد فقدَ صوابَهُ ولم يقدرْ أن يتحمَّلَ الألمَ الذي ألمَّ به، وحملَ بداخلِهِ أحزاناً تهدُّ الجبالَ، وراحَ يركضُ غارقاً بموجةِ ضحكٍ داخلَ يمِّ دموعٍ، تاركاً وراءَهُ تماثيلاً من جليدٍ لأطفالٍ قتلَتْهُمُ الحياةُ، ومكانٍ ضيّقٍ شاهدَ على أعظمِ مأساةٍ يُمكِنُ أن تَحدثَ، وزوجةٍ مُغمى عليها من تتالي الفواجعِ على رأسِها، فتعبَتْ عظامُ روحِها وانهياراً هاجمَ أعصابَها، وحملَها المارَّةُ إلى أقربِ مشفًى دونَ أن يعلموا ما جرى لها، وعندما أدخلوها إلى بابِ المشفى استفسرَ الأطباءُ عمَّنْ يعرفُها أو يقربُها، فلم يحصلوا على أيِّ جوابٍ شافٍ، وتمَّ وضعُها في غرفةٍ نائيةٍ، وقُدِّمَتْ لها مساعدةٌ بسيطةٌ ريثما يأتي أحدُ أقربائِها لكنْ لم يأتِ أحدٌ لِيسألَ عنها، ومضى على ذلك ثلاثةُ أيامٍ، وفي إحدى الليالي وبينما المرأةُ قابعةٌ في فراشِها تُقارِعُ المرضَ فُتحَ بابُ الغرفةِ بهدوءٍ، وتَسلَّلَ منه شبحُ رجلٍ، وعندما دنا منها رنَتْ إليه بخوف وذُعرٍ شديدَين، وأحسَّتْ أنَّهُ يُضمِرُ لها شرَاً، وبدأَ الشبحُ بنهشِ جسدِها دونَ شفقةٍ، وعندما انتهى من فعلِهِ الشنيعِ تركَها وعادَ من حيثُ أتى، في الليلةِ التاليةِ

حدثَ نفسُ الشيءِ لكنَّ الرجلَ تبدَّلَ، تكرَّرَ الأمرُ كلَّ مساءٍ إلى أن قرَّرَتْ أن تضعَ حدَّاً لمآسيها.

ففي إحدى المساءاتِ أنصتَتْ إلى نفسِها فسمِعَتْ صوتَ بكاءِ دموعِها، وأنينِ فؤادِها حدَّقَتْ في النجومِ فشعرَتْ بالنجومِ ترثي حالَها، فتمالَكَتْ نفسَها واستجمعَتْ قُواها ونهضَتْ من فراشِها، ووقفَتْ على شُرفةِ الغرفةِ تتأمَّلُ في الذي تريدُ أن تُقدمَ عليهِ، لكنَّ نفسَها وقدماها قادتاها إلى فعلِ ما كانَتْ تنوي القيامَ بهِ دونَ أن تُعطيها فرصةً لرقصةِ الموتِ، لقد ألقَتْ بنفسِها من الشرفةِ، ورحَّبَتْ بالموتِ بعدَ كلِّ الذي حدثَ معها، في صباحِ اليومِ التالي وجدَ المارَّةُ جُثّةً لشابّةٍ في مقتبلِ العمرِ، وقد بدا عليها الإعياءُ والتعبُ الشديدين وكانتِ الروحُ مُفارِقةً للجسدِ، رحلَتْ وأخذَتْ معها كُلَّ ما يشملُ معاني الألمِ والأسى والحزنِ، أمَّا زوجُها الذي تاهَ في غياهبِ النسيانِ وضاعَ وراءَ العقلِ فاقداً كلَّ ما يُمكِنُ أن يرويَ مآسيهِ هو الآخرُ سوى بصمةِ حزنٍ سوداءَ ارتسمَتْ على جدارِ فؤادِهِ.

وهكذا اتَّضحتْ معالمُ النهايةِ بعدَ أن مرَّتْ أكبرَ مأساةٍ على حياةِ بشريٍّ تعيسٍ، حظٌّ لم يُكتَبْ له التوفيقُ في مسيرةِ الحياةِ وفشلُ الأملِ في أن يَجدَ طريقاً يُوصلُهُ إلى ذلك الرجلِ البائسِ، ففاضَتْ أرواحُ الأطفالِ في ليلٍ حالكِ الظلمةِ شديدِ البرودةِ، وفارقَتْ روحُ الزوجةِ جسدَها بعدما مزَّقَتْهُ أنيابُ الذئابِ البشريةِ، والرجلُ هو نفسهُ الذي بدأَتْ عندَهُ المأساةُ، وانتهتْ به لم يُفلِحْ في تَحَدٍّ فرضَ نفسَهُ عليه، بل غادرَ بعدما حاولَ عدَّةَ محاولاتٍ باءَتْ بالفشلِ جميعِها، وآخرَ شيءٍ حدثَ معهُ كانتِ القشَّةُ التي قسمَتْ ظهرَ البعيرِ، وتمثَّلَ ذلكَ بوفاةِ أولادِهِ المساكينَ الذين أتَوا على هذهِ الدُّنيا ورحلُوا عنها مرغمينَ، وفي النهايةِ سطَّرَ الفقرُ مأساةً جديدةً تُضاف إلى مآسيهِ بِحقِّ البشرِ جميعاً، ولا أعلمُ إن كانَ سيسطِّرُ مأساةً جديدةً أم لا، ربَّما ظلمتِ الفقرَ قليلاً لكنْ طالما أنَّ الفقرَ مُسبِّبٌ للنقصِ والحرمانِ، ولا يَقدرُ أيُّ شخصٍ أن يتحمَّلَهما، وهو يرى بأمِّ عينيهِ أنَّه الوحيدُ الذي يُعاني منهما، فلا يقدرُ إلا أن يقومَ بعملٍ منافٍ للأعرافِ كي يتخلَّصَ ممَّا يُؤرِقُهُ، لكنْ مهما يكنْ من فقراءَ وأغنياءَ يبقى الزمنُ يسيرُ ويسيرُ دونَ أن يقفَ عندَ شخصٍ أو آخرَ، فَليتعلَّمْ كلٌّ منّا من مصيبةِ غيرِهِ والدُّنيا بمُجملِها لعبةُ اللبيبِ، من يُتقِنُ كيفيةَ لعبِها بالشكلِ الأمثلِ وهذهِ اللعبةُ

ستنتهي عاجلاً أم آجلاً، وبالتأكيدِ هناكَ خاسرٌ ورابحٌ، فَليسعَ كلٌّ منّا لأنْ يكونَ الرابحَ بأسلوبِهِ المتفرّدِ عن بقيةِ الأساليبِ التي يُمكنُ أن يَبتكرَهُ الأشخاصُ سعياً منهم في أن يكونوا أناساً متميزين، ودائماً الطريقُ إلى التميُّزِ يكونُ مُزدحِماً وحافلاً بالصّعابِ.

قارئي العزيز!! لا بدَّ وأن يكونَ هناكَ توازُنٌ في كلِّ شيءٍ في هذهِ الحياةِ بالغنى والفقرِ بالخيرِ والشرِّ بالذكاءِ والغباءِ وفي كلّ شيءٍ وإن تأمَّلْتَ قليلاً في هذا المشهدِ لوجدتَ أنَّ هناكَ مَن يتحكَّمُ بهؤلاءِ الناسِ ومصائرِهم، وهم كموجِ البحرِ يتلاحقون كلَّ يومٍ إلى اللانهايةِ حتّى اليومِ الموعودِ، يومَ تُرَدُّ كلُّ روحٍ إلى بارئِها ويتفكَّكُ النسيجُ الذي كانَ الله قد أبدعَهُ، ويظهرُ الرابحُ من الخاسرِ فالرابحُ يبقى رابحاً والخاسرُ يبقى خاسراً إلى ما للانهاية.

رجوع للفهرس

قِصَصُ الآباءِ

بينَ كلِّ حينٍ وآخرَ تعودُ إلى الذاكرةِ قصصُ الآباءِ.

كم هو مُمتِعٌ حديثُ الكبارِ وخاصةً الآباء؟

قصصُ الآباءِ تعودُ بنا إلى حيثُ نحلمُ أنْ نكونَ، فتُمزِّقُنا شوقاً وتقتلُنا حنيناً، وكذا تساعدُنا في بناءِ حلمِ المستقبلِ الواعدِ.

ترى من أينَ جاءَتْ قصصُ الآباءِ !!؟؟ هي قصصٌ للحياةِ والموتِ والسعادةِ أرادَها الله، وخطَّتْها الشهورُ والأيامُ، أمّا بالنسبةِ لي فإنَّ تلكَ القصصَ تُنيرُ فيّ حكمةَ لقمانَ وصبرَ أيّوبَ، وتزرعُ في نفسي قناعةَ يونسَ وحِلمَ يعقوبَ، وتحملُ لي البشارةَ كأنَّها بشرى عيسى ابن مريمَ البتولِ، وتمنحُني ثقةَ محمدَ بنِ عبدِ الله في دينِهِ الجديدِ -عليهم أجمعينَ أزكى السلامِ.

ما أحلاها من أيامٍ تلكَ التي كانَتْ تحتوي إحدى هذه القصصَ، فيكونُ يوماً يبدأُ حينما تغفو عيناكَ لترقُدَ، أما ما سبقَ فيبقى حُلماً سماوياً، لا ليسَ حُلماً بل إنَّهُ ليرقى لمستوى الرؤيا.

ذاتَ مرّةٍ راحَتْ تُروَى على مسامعي إحدى تلك القصصُ، فأحسسْتُ حينَئذٍ أنَّي أتنقّلُ على ألوانِ الطيفِ، بدايةً كنْتُ على وشكِ أن أغرقَ في بحرِ الحبِّ واستنشقُ نبضَ الحياةِ في النجيعِ، وبعدها أُضرِمَتْ بداخلي براكينُ العالمِ، وكِدْتُ أنفجرُ لولا شمسُ

الحكمةِ التي مدّتْني بنورِها، فأبصرتُ أصلَ الحياةِ وكينونَتها ومن ثم تدرَّجتُ إلى الطبيعةِ، فعشْتُ معها وشاركْتُ بحفلِ زفافِها فرقصْتُ مع أطيارِها وشدوْتُ مع أزهارِها وقدَّمْتُها عروساً للقمرِ، فتوحَّدا معاً وأصبحا نجماً عملاقاً لن يبوحَ بأسرارِه لأحدٍ، وإذ به يتسامى ضياءً ويتألَّقُ بريقاً ويُبهرُ لمعاناً وكأنَّهُ كوكبٌ دُرّيٌّ ، وعُدْتُ بعدها إلى البحرِ لأستمدَّ منه جبروتي، وأخطَّ كلماتٍ بمدادِه فأكتبُ كلماتٍ أقوى من القوّةِ، وأقسى من القساوةِ وأصلبَ من الصلبِ، ثم راحتْ تراودُني أحلامُ اليقظةِ، فانتشيْتُ بهدوئِها وصفوتُ بصفائِها، وانتقلتُ معها إلى دوحةِ النفسِ فصرتُ أنهلُ من معينها وأستسقي من أنهارِها، ووصلْتُ لأحلامِ الفتياتِ البسيطةِ بفارسٍ على حصانٍ أبيضَ وزفافٌ أسطوري وانتهيتُ من كلِّ ذلكَ إلى عالمٍ تفوّقَ بياضُهُ على سُمرتي، فغمرَني السلامُ وطابَ لي الإيمانُ فأصبحْتُ مسلِماً وأمسيْتُ مؤمناً .

هكذا هي أيامُنا تجعلُنا قصصاً تُروى في المستقبلِ، كذلكَ هي قصصُ آبائِنا لم تكنْ في أصلِ بدايتِها سوى حياتِهم اليوميةِ، وهمومِهم المتكاثرةِ ومغامراتِهم مع القدرِ والحياةِ، وسنغدو نحنُ فيما بعدُ قصصاً للحياةِ والموتِ والسعادةِ..... رجوع للفهرس

الوطن للوطن

أيُّها الوطنُ الدامي .....

وداعاً من غيرِ رجعةٍ

أيُّها الوطنُ الدامي .....

ها أنا أغادرُكَ الآنَ وأتركُ ورائي كلَّ حروفِ الرجاءِ لِتَخرجَ منّي، لكنَّكَ لم تخرجْ ولن تخرجَ منّي إلّا بصحبةِ روحي.

ماذا أفعلُ معكَ؟ وأنتَ تفرضُ عليّ أموراً وأشياءَ لا يُحتمَلُ العيشُ معها، وأعيش كُرمى وفداءً لكَ لتعرفَ مَن أنت؟ ومَن أنا؟

كيف قمْتَ بإلغائي وأنا الذي جعلْتُكَ بعد قلبي قلبي.

قلْ لي يا وطني بمَ تشعرُ الآنَ وقد غرَّبْتني إلى بلادِ الموتِ والخوفِ؟ هل تشعرُ بالتأنيبِ أم أنَّكَ لا تشعرُ بشيءٍ مُطلقاً، أيّاً كانَ ما تشعرُ به فأنا ورغمَ كلِّ ما فعلْتُهُ وتفعلُه بي، فأنا أقدّسُكَ أيُّها الظالمُ، ولكن لتعلمَ أنَّ الطعامَ والشرابَ لم يكُنْ بمقدورِهما أن يُعيناني على الحياةِ لو لم يكونا بأرضِكَ، وأيضاً الحبُّ روحُ الحياةِ وبهجتِها لم يَكُنْ له أيَّ لونٍ وأيَّ تأثيرٍ لو لم يكُنْ بداخلِك، حصلَ ذلكَ وأنتَ في سُباتٍ عميقٍ وبعيداً كلَّ البُعدِ عن أبنائِكَ.

أيُّها الوطنُ الغريبُ .....

سأروي لكَ قصّةً لم تكنْ تعلمُها، وهي كَكُلِّ القصصِ التي تَحدُثُ لأبنائِكَ في غفوةٍ منكَ، هي قصةُ فتًى نضجَ وشبَّ في رحابِكَ ثم شعرَ بالخطرِ يُداهمُكُ، فأنضمُّ فوراً إلى أولئك الذينَ يدعون الذودَ عن عرينِ الوطنِ، وتعلَمُ منهم البطشَ والمكرَ والدهاءَ وليتَ كانَ ذلكَ لهدفٍ نبيلٍ، لا بل لتحقيقِ مآربِهم الدنيئَةِ وغدا ذلك الشابُّ واحداً منهم يبطشُ بالرّتبِ الأدنى منهُ، ويبتزُّهم أشنعَ ابتزازٍ، وكم كانَ ظالماً لنفسِهِ؟ لقد تحوّلَ من شابٍّ يملئُهُ العنفوانُ والصدقُ والأملُ والنشاطُ إلى وحشٍ دنيءٍ لا يتورَّعُ عن فعلِ أيِّ شيءٍ يُحقِّقُ ملذّاتِه الشخصيةِ، سواءٌ أكانَ سرقةً أو قتلاً أو نهباً أو حتى اغتصاباً.

وعَلَتْ ذاتُهُ السّاديّةُ على ذاتِهِ الإنسانيّةِ، وكانَ كلَّ يومٍ يمرُّ عليه يزدادُ عُتوّاً ولم يُعطِ أيَّ أهميةٍ للسنينَ التي تتراقصُ في باحةِ عمرِهِ، ولا تلبثُ أن تتلاشى ومرَّتْ عليهِ السنونُ واشتعلَ رأسُهُ شيباً، وفي رأسِ سنةٍ ميلاديّةٍ حانَ وقتُ تقاعدِهِ، ورحلَ بعدما سلّمَ أدواتِ بطشِهِ وأساليبِ غِشّه إلى شابٍّ يتلهَّفُ لأنْ يُصبحَ مثلَهُ بالطرقِ السويّةِ.

كم هم ظالمونَ الذين يعمرون بيوتَهم ويخربون الوطنَ؟

كم هم ضالُّون الذينَ يرقصون على جُثّةِ الوطنِ؟

وبعدها نزلَ ابنُكَ الضالُّ إلى المدينةِ لا يلوي على شيءٍ، وقابلَ صديقاً قديماً وأحبَّ أن يحتضنَهُ لكنَّهُ قُوبلَ بالرفضِ العنيفِ، ووبَّخَهُ صديقُهُ قائلاً: كيف أُسلِّمُ عليكَ وقد سلبْتني مالي، وقابلَ آخرَ فردَّ عليه بنفسِ الطريقةِ، وقالَ: أنت الذي انتهكْتَ عرضي وسرقْتَ أرضي، وذهبَ إلى رجلِ دينٍ يشكو له ما يشتكي منهُ، فردَّ دعواه: أنَّكَ أحللْتَ الحرامَ وحرّمْتَ الحلالَ، فاذهبْ إلى بلادٍ غيرِ هذه عسى الله يتوبُ عليكَ ويغفرُ لكَ، ليسَ لكَ من مَسكنٍ في هذا الوطنِ، وغادرَكَ حزينُ الفؤادِ مجروحُ القلبِ يخبّئ أنينَه في شهيقِه وزفيرِه، ذلكَ أنّهُ وهبَ حياتَه ونفسَه لحمايتِك.

أرأيتَ؟

هكذا يا وطني انتهت قصةُ أحدِ أبنائِكَ والذي جُلَّ ما أرادَهُ هو الذودُ عن حِماكَ فنبذْتَه ونفيتَه .....

لكنْ مهلاً ...

إنَّكَ يا وطني الجميلَ عبارةٌ عن بضعةِ أمتارٍ فيها جبالٌ وبحارٌ وأشجارٌ، يحلو الحبُّ في ظلِّها إنَّكَ يا وطني واحةٌ غنّاءُ، يحرسُها السلامُ ويلفُّها العطاءُ، إنَك يا وطني ساحةٌ للهناءِ والسعادةِ، أنتَ

يا وطني جنَّةُ عدنٍ فيها الجواري الحِسانُ، أنتَ يا وطني آيةٌ من آياتِ الجمالِ الإلهي، ولسْتَ المذنبَ في غربةِ أبنائِكَ عنكَ ـ وأنا أحدُهم ـ إنَّهُ ذنبُ أولئكَ الذين يبنونَ مجدَهُم على أطلالِكَ.

ذنبُ الذين حوَّلُوا النورَ إلى نارٍ تحرقُ كلَّ ما حولَها.

ذنبُ الذين جعلُوا الوطنَ الأخضرَ صحراءَ قاحلة.

ذنبُ الذين جعلُوا جنَّةَ عدنٍ بيداءَ قاتلةَ.

وأعدُكَ يا وطني أنَّنا سوياً سننتصرُ على أولئكَ بضعفِنا وحلمِنا ودمعِنا، ونعودُ إليكَ مكلَّلينَ بالغارِ كما يعودُ الوطنُ للوطنِ.

رجوع للفهرس

رِسالةٌ إلى الوطنِ

بالأمسِ كنتَ حلُماً واليومَ أصبحْتَ ألماً.

ما أقساكَ أيُّها الوطنُ! أنتَ الذي تعبَتِ الأقلامُ والأصواتُ في مدحِكَ، وبُحَّتِ الحناجرُ هُتافاً لكَ، اليومُ أعودُ لأجدَكَ خاوياً من كلِّ شيءٍ، رغمَ وجودِ الأشياءِ جميعَها لديكَ.

طالبْتُكَ بالحرّيةِ فوهبتَ لي الأسرَ!

استجديْتُ منكَ الكرامةَ فمنحتَني الذلَّ!

كم أنتِ قاسيةٌ أيَّتُها الأيامُ؟ تجعلينَنا نعتادُ على الحنينِ إلى أشياءَ تقتلُنا، فلا نجدُ ملاذاً سوى الصبرَ الممزوجَ بالدمعِ والموتِ، منذُ البدايةِ كانَ كلُّ شيءٍ على ما يرامُ إلى أنْ وقعْتُ بحبِّكَ يا وطني القاسي، لقد جعلتَني أعُدُّ ثوانيَ الألمِ التي قاسيتُها وأقاسيها في ظلالِكَ، وأجمعُ لحظاتِ البؤسِ كلّما طالَ مكوثي داخلَ صدرِكَ.

صدرُكَ الذي كنْتُ أحلمُ ذاتَ يومٍ بالرجوعِ إليه ليغمُرَني بحنانِه، لكنّي لم أجدْ منهُ سوى الجفاءَ والقسوةَ، الآنَ أحاولُ إدراكَ ما حصلَ، لكنْ كلّما حدّدَتُ عِلّةَ ما جرى فرَّتْ أفكاري منّي، فأطارِدُها وأسعى لجمعِها لعلّي أعي كيف نبذتَني يا وطني برحابِكَ، وجعلتَني ميتاً في الحياةِ، ولكنَّك يا وطني تبقى السلطانُ العظيمُ وأنا العبدُ المغلوبُ على أمرِه.

في الماضي كُنّا نحتضنُ بعضَنا البعضَ، كنْتَ تُتمِّمَني، وكنتُ أعيشُ كُرما لكَ في هذه الحياةِ، أما الآنَ فأنا خرجْتُ مِنكَ إلى الغربةِ التي لا ترحمُ، ولكنَّك لم تخرجْ منّي بعدُ، فكيفَ أعيشُ بدونِكَ وأنتَ تجثمُ فوق صدري كعزرائيلَ الذي يسلُبُ الأحياءَ أرواحَهم ليجعلَهم أمواتاً، سألَني أحدُهم: لم تكتبْ لوطنِكَ وعنه، فقلتُ له حينَها: ليستْ يدي التي تكتبُ إنّما هو الفؤادُ الذي يحكي لوعةَ الغربةِ وعذابَ البقاءِ، حين عذّبتْني شوارعكَ وجرَّدتْني ساحاتُك صباي، وسحقَني جبروتُك يا وطني الظالمَ، قلْ لي يا وطني لما أحيا في مكانٍ يرحِّبُ بأفكاري ويطردُني؟ وأنت تنفي أقلامي وتدعُني بلا صوتٍ، لا وبل تجبرُني على ترديدِ شعاراتِ الخنوعِ على أنّها أسُسُ الحريةِ فكيفَ تمَّ ذلكَ يا وطني!!؟؟

رجوع للفهرس

سنهزمُكم

قالَ لي صديقٌ: مرَّتْ أيامٌ كثيراتٌ وأنتَ تصمْتُ ولا تأبَهُ للقتلِ الذي يحصلُ في وطنِنا، وأنا أعرفُ أنَّكَ تمتلِكُ القدرةَ على حملِ سلاحِ الكلماتِ.

قلْتُ له: ما أقولُ وما أكتبُ وقد احترقَ القلبُ لوعةً وأصبحَ غريباً في حشاياي.

قالَ: باللهِ عليكَ تكلَّمْ أو اكتبْ أيَّ شيءٍ فإنَّ صمْتَكَ سيضرُّكَ إن لم تُبدِّدُهُ بكلامِك وكلماتِك.

قلْتُ: أنا دائماً ألجأ إلى وضعِ الحروفِ وتنسيقِها كي أُخرجَ منّي بعضَ أفكاري وأحاسيسي، أتعلم؟ أنا أشعرُ الآنَ أنَّ تلكَ الحروفَ تمرّدَتْ عليَّ، ولم يعدْ باستطاعتي أن أسيطرَ عليها مُجدَّداً، لكنّي أحسُّ أنَّ هناكَ شيئاً ما داخلي وأعجزُ عن البوحِ بهِ.

قالَ: أنتَ تستطيعُ السيطرةَ على حروفِكَ، لعلَّكَ حائرٌ كيف تُخرجُها.

قلْتُ: واللهِ العظيمِ صدقْتَ، فعلاً أنا حائرٌ كيف أُخرِجُ ما بداخلي.

قالَ: إنَّ حديثَ القلبِ لا يحتاجُ إلى تنسيقٍ، فهو يشمُلُ بحورَ الشعرِ كافّةً، وعناصرُ القصةِ كاملةٌ ويحملُ في ثناياهُ الإبداعَ الروائيَ.

قلتُ: حسناً إذاً هاتِ ورقةَ ويراعاً لأريكَ ما ستخطُّهُ يداي، وهرعَ إلى مكتبِهِ وأحضرَ ما قلْتُ له، وكتبْتُ

سنهزمُكم أيُّها المجرمونَ.

سنهزمُكُم بضعفِ شيوخِنا.

سنهزمُكُم بحكمةِ آبائِنا.

سنهزمُكُم بميسِ زوجاتِنا.

سنهزمُكُم بجَمالِ حسناواتِنا.

سنهزمُكُم بدَلالِ صبايانا.

سنهزمُكُم بطيشِ مراهقِينا.

سنهزمُكُم بعزيمةِ شبابِنا.

سنهزمُكُم باجتهادِ فتياتِنا.

سنهزمُكُم ببسمةٍ مرَّتْ على شفتَي طفلٍ نجحَ في صفِّهِ.

سنهزمُكُم بأرواحِنا التي تُوحِّدُ الله.

لن تستطيعوا أن تُطفِئوا ضياءَ الحياةِ فينا.

سنهزمُكُم بحروفِ من نارٍ ونورٍ.

سنهزمُكُم بأغانينا.

سنهزمُكُم بمعانينا.

سنهزمُكُم بقبلةٍ غريزيةٍ جمعَتْ عاشقانِ حميمانِ.

أنتم السافلونَ ونحنُ الأعلونَ.

سنهزمُكُم بدماءِ قتلانا.

سنهزمُكُم بحَنانِ أمهاتِنا.

سنهزمُكُم برأفةِ آبائِنا.

سنهزمُكُم بذُكاءِ التي تُرسِلُ كلَّ يومٍ شعرَها الذهبي.

سنهزمُكُم ببراءَةِ أطفالِنا.

سنهزمُكُم بسذاجةِ مغفَّلينا.

سوف لن ننسى خطاياكُم.

ولن تحنَّ قلوبُنا في المستقبلِ لشكواكُم.

يا مَن سرقْتُم الفرحةَ من أعينِ أطفالِنا سوف لن ننساكم.

نحنُ خالدون في جنَّاتِنا، وأنتم في الجحيمِ مأواكم.

نحنُ النبلاءُ وأنتم تحتَ نعالِ العامةِ سُكناكُم.

نحنُ الرجالُ الأشداءُ وأنتم الجبنُ يَغشاكُم.

سنفوزُ بكُردِنا وعربِنا.

سنفوزُ بمسيحينا ومُسلمينا وأنتم سيلعنُكم أطفالُكم.

نحنُ الحبُّ والسلامُ وأنتم الحقدُ والحربُ.

نحنُ النجاحُ والعملُ وأنتم التخبُّطُ والفشلُ.

نحنُ الدفءُ والأمانُ وأنتم الخوفُ والبردُ.

نحنُ السموُّ والرقيُّ وأنتم كلُّ الوضاعةِ.

نحنُ الأملُ وأنتم القنوطُ.

نحنُ النورُ وأنتم حلكةُ الظلامِ.

نحنُ الحسُنُ وأنتم الشناعةُ.

نحنُ الفرحُ والسرورُ وأنتم الهمُّ والغمُّ.

نحنُ قومُ الإيمانِ والقرآنِ وأنتم أصحابُ القتلِ والعدوانِ.

لكنْ بالرغم من كلِّ هذا سنهزمُكُم.

قسماً لن نغفرَ خطاياكم.

رجوع للفهرس

كل الأشياء منه، وهذا محاولةٌ منّي لأوفيه بعض فضلهِ، ولا قدرة لحروفي على ذلك مهما عظُمتْ.

أهدي عملي هذا إلى اللطيف عز وجل لا لفقره - سبحانه هو الغني -بل احتياجاً وشوقاً إليه

خالد حميدة